وزارة التعليـــم الـــعالـــــــــي والبحث العلـــمـــي

جامعـــة 20 أوت 1955 -سكيكـدة-

كليـــــة الآداب واللغـــات

قسم: اللّغة والأدب العربيّ

التخصّص: أدب حديث ومعاصر

مذكرة بعنوان:

# جمالية المكان في شعر روضة الحاج
# دراسة في نماذج مختارة

إعداد الطالبتين:

- سماسل وسام
- شويط أحلام

إشراف الأستاذ:

هشام لعور

أعضاء لجنة المناقشة:

| الاسم واللقب | الرتبة | الصفة |
|---|---|---|
| عبد الرزّاق بوقطوش | أستاذ محاضر أ | رئيسا |
| لعور هشام | أستاذ مساعدأ | مشرفا ومقررا |
| سفيان جغدير | أستاذ محاضر ب | عضوا ممتحنا |

السّنة الدّراسية: 2023/2022م.

# شكر وتقدير

الحمد لله الّذي أعاننا على إتمام و إنجاز هذا البحث، حمدًا كثيرًا لا ينقطع أولّه ولا ينتهي آخره، والصَّلاة والسَّلام على المبعوث رحمةً للعالمين سيّدنا ورسولنا الكريم محمّد صلّى الله عليه وسلم أفضل الذّاكرين وأكثر الشّاكرين خاتم الأنبياء والمرسلين.

نتقدّم بجزيل شكرنا إلى المشرف على بحثنا، أستاذنا الكريم " **لعور هشام** " على جهده معنا وصبره علينا، وعلى ملاحظاته القيّمة من أجل غرس الثّقة فينا، ومنحنا الطّاقة الإيجابيّة حتّى ننجز بحثنا في أبهى حلّة ونخرجه للنور.

كما نشكر كلّ من ساعدنا في الحصول على المراجع وإيجاد المعلومات، وعلى رأسهم أستاذنا وأخونا الفاضل الأستاذ **"رياض مسيس"**، الّذي لم يبخل علينا بدعمه المتواصل لنا.

إلى الإنسان الطّيب المتعاون "**وليد حمزة العامري** "، والطّالبة الزّميلة الرّائعة "**سديرة شافية**".

كما لا يفوتنا أن نشكر كل من ساهموا في تأطيرنا وتكويننا ولم يبخلوا علينا بمعارفهم وجهدهم وخبرات تجاربهم "أساتذة قسم اللغة والأدب العربي لجامعة 20 أوت 1955 –سكيكدة-"

**"وسام**

**وأحلام"**

# إهـــداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضعة إلى اللّذين كانا سببا في نجاحي

إلى روح أبي الطّاهرة فنم قرير العين يا أبي فقد حملت المشعل من يدك وواصلت المشوار بأمانة.

إلى أمّي الّتي لم تبخل علينا يوما بوجودها حولنا فأعطت من جسمها وروحها لأجل هاته اللّحظة.

إلى الّذي كان لي أبا وأخا وصديقا إلى هدية الله لي في هاته الدنّيا أول من يشجعني في مشواري العلمي والعملّي زوجي الغالي.

إلى نجوم حياتي بهم أهتدي ولأجلهم أفتدي أولادي.

إلى إخوتي وأخواتي كلّ باسمه.

إلى كلّ من علَّمني حرفا طيلة فترة دراستي من التَّعليم الابتدائي إلى الجامعي أساتذتي الكرام.

إلى زملائي وزميلاتي الذين جمعتني بهم صحبة الدّراسة

إلى كلّ من ساعدني بالقول والفعل وكان سندا لي في إنجاز هذا العمل.

إلى كلّ من يجاهد ويناضل من أجل تحصيل العلم.

إلى كل من يُكِنُّ لي الحب والاحترام و التقدير

**"وسام سماسل"**

# إهـــداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضعة إلى اللّذين كانا سببا في نجاحي والديَّا أطال الله في عمرهما.

إلى إخوتي وأخواتي كلّ باسمه.

إلى زوجي وجميع أولادي.

إلى كلّ من علَّمني حرفا طيلة فترة دراستي من التَّعليم الابتدائي إلى الجامعي أساتذتي الكرام.

إلى زملائي وزميلاتي الذين جمعتني بهم صحبة الدّراسة

إلى كلّ من ساعدني بالقول والفعل وكان سندا لي في إنجاز هذا العمل خاصة ابني عماد الدّين.

إلى كلّ من يجاهد ويناضل من أجل تحصيل العلم.

إلى كلّ من يُكِنُّ لي الحب والاحترام و التّقدير.

**"أحلام شويط"**

# مقدّمة

# مقدمـــة

عرف الشِّعر العربيُّ المعاصرُ تجديدًا وتحديثًا في المضامين الشِّعرية، وفي الأساليب والآليات الّتي ينظم بها الشّاعر قصائده ، فلم يعد شعرهم غزليًا طلليًّا ولا هجائيًّا مدحيًّا فقط، بل حمّلوا شعرهم القضية والدِّفاع عنها، فأصبحت آلامهم وذكرياتهم بها ، وآمالهم لا ترتبط بالحبيب فقط ، بل هي الحبيب والوطن والأمّة. دون إهمال عنصر الجمال في تصويرها ونقلها ، وباعتبار المكان أحد العناصر التي يشتغل عليها الشعراء في إبداعاتهم الشّعرية والّتي تساهم في إيصال المعنى وجمال النّصوص والمتون الشِّعرية ،فمن الطّبيعي أن يسعى الشَّاعر إلى الاهتمام بالجانب الجماليّ فيها ،خاصّة وأنَّ الدِّراسات في هذا المجال قليلة مقارنة مع النَّثر والرِّواية.

ومُسَاهمة منّا في إعطاء المكان في الشّعر قيمته الجماليّة ،جاءت هذه الدِّراسة رغبة في الإفادة والاستفادة، وما دفعنا لاختيار هذا الموضوع ،هو إعجابنا الكبير بالشّعر السّوداني الّذي لم ينل حظَّه الكبير من الانتشار بصفه عامَّة وبالشَّاعرة "روضة الحاج" وقصائدها المميَّزة بصفة خاصَّة ، ورغبتنا في دراسة جماليَّة المكان في شعرها، فجاءت دراستنا هذه الموسومة ب"جمالية المكان في شعر روضة الحاج" وذلك للأسباب التَّالية:

- قوّة ورصانة شعر روضة الحاج وما قدَّمته من أبعاد إنسانيَّة ودينيَّة واجتماعيَّة وسياسيَّة عميقة ،ورؤى فكرية متفردة ممَّا وفقها لأن تكون أول امرأة عربية تلبس بردة سوق عكاظ عن جدارة، بعد أن حُرمتها الخنساء.

- وفرة المادَّة البحثيَّة الشِّعرية (المكان) في دواوين الشَّاعرة بالقدر الَّذي يمكّننا من إزاحة السِّتار عن تجربتها الفنيَّة الجماليَّة المكانيَّة .

- الرَّغبة في الكشف عن مكانة المرأة العربيَّة في الشِّعر العربيّ الحديث ،ومدى قدرتها على توظيف آليات الجمال في نتاجها الشِّعري مقارنة بغيرها من الشُّعراء.

- الإعجاب الشَّديد بالشّاعرة روضة الحاج ، لأنَّها تمثّلنا من خلال قصائدها كامرأة، تبحث لذاتها الأنثوية عن مكانها ،في ظلّ الهيمنة الطّاغية لنسق الذّكورة في الأعمال الأدبيَّة خاصَّة الشِّعرية منها.

- تجسيد النّموذج الحيّ لارتباط الشّاعر بالمكان وصدق إحساسه به حضوريا وروحيا في شعر روضة الحاج، من خلال علاقتها بوطنها الأم وبالوطن العربي ككل ، وحتى من خلال علاقتها بالحبيب.

- قلّة الدّراسات الّتي تناولت المكان في شعر روضة الحاج ، وأنّ غالبية الدّراسات حول جمالية المكان تلقي ظلالها على الكتابات النَّثرية خاصَّة فنّ الرّواية.

ولأجل هذا كان الهدف من هذه الدّراسة ،هو التّعريف بالشّاعرة روضة الحاج وبالشّعر السّوداني وجماله، من خلال جمالية المكان فيه ،وإبراز دوره في المشهد العربيّ ، وتفنيد نظرة القارئ إلى المكان باعتباره مسرحا للحدث فقط، بل إنّ المكان هو تلك اللّوحة الفنيّة الجماليةّ التّي تعطينا متّحدة مع اللّغة الشّعرية أبعادًا دلاليَّة مختلفة للقارئ والعالم العربيّ ، مع إبراز مدى نجاح روضة الحاج في إيصال رسالتها الإنسانيَّة من خلال توظيفها لجمالية المكان في شعرها.

وقد حاولنا من خلال هذه الدِّراسة الإجابة عن الإشكاليَّة التَّالية:

كيف تجلَّى المكان في قصائد روضة الحاج وما الأبعاد الَّتي يحيل إليها ؟

وقد تفرَّعت عن هذه الإشكاليَّة جملة من الأسئلة:

كيف أسست روضة لحاج للمكان في شعرها ؟ وما هي الأماكن التي وظفتها فيه ؟ و هل نجحت روضة الحاج في إبراز جماليات هذه الأماكن من خلال الأبعاد التي أحالت إليها ؟

ولأجل التَّوصل إلى الإجابة عن جلّ هته التّساؤلات ، اعتمدنا خطّة بحث تشمل مقدّمة عن الموضوع. ثمّ مدخلاً ضمّناه مصطلحات متّصلة بالموضوع وهي: مفهوم الجماليّة، المكان مفهومه لغة واصطلاحا، المكان في النّقد العربيّ والغربيّ، أنواع المكان، ثم فصلين: فصل أوّل كان نظريًا تطرّقنا فيه إلى المكان في الشّعر العربي المعاصر، وأبعاد ودلالات هذا المكان ، مع ذكر نماذج لشُّعراء معاصرين من مختلف الدّول العربيّة، ثم أدرجنا فصلا ثانيا كان تطبيقيّا عالجنا فيه تجلّي المكان في دواوين روضة الحاج في مبحثين أساسيّين. تناولنا في المبحث الأوّل أنماط المكان في شعر روضة الحاج ، والمبحث الثّاني الأبعاد والدّلالات المختلفة للمكان في دواوينها. وختمناه بخاتمة جاءت كحوصلة عامّة للبحث، اشتملت على أهمّ

النّتائج المتوصّل إليها و،كانت بمثابة إجابات للتّساؤلات المطروحة في المقدّمة، وملحقًا فيه تعريف موجز للشّاعرة روضة الحاج وملخّص صغير عن كلّ ديوان لها كان موضوعًا للبحث.

واعتمدنا في دراستنا على المنهج الموضوعاتيّ كما استعنّا ببعض تقنيات المنهج الوصفي والمنهج السّيميائي الّذي يتلاءم مع هذا النّوع من الدّراسات، كما اعتمدنا على مراجع ساعدتنا في إتمام دراستنا أهمّها:

- "جماليات المكان" لغاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا.
- "فلسفة المكان في الشعر العربي" ، لحبيب مؤنسي.
- "جماليات المكان" لأحمد طاهر حسين، أحمد غنيم...وآخرون.
- "بنية الشكل الروائي" ، حسن بحراوي.
- أنسنة المكان في روايات عبد الرحمن منيف
- "مشكلة المكان" بقلم يوري لوتمان ، ترجمة سيزا قاسم.
- "جماليات المكان الفنّي في النّقد العربيّ المعاصر" عبد الله أبو هيف.
- "الزّمان والمكان في الشّعر الجاهليّ" باديس فوغالي.

و على بعض الدّراسات السّابقة حول جمالية المكان منها:

- "جماليات المكان في الشّعر العربيّ المعاصر" محمد صالح خرفي.
- "جماليات المكان في روايات إبراهيم جبرا" أسماء شاهين.
- "فعاليات المكان في الصّورة الشّعرية، سيفيات المتنبي نموذجا" لجاسم متعب ومنى شفيق.
- "صورة المكان في شعر عز الدّين المناصرة" زايد حمد ارحيمة الخوالدة.
- "شعرية المكان قراءة في شعر مانع سعيد العتيبة" إبراهيم أحمد ملحم.

وقد واجهتنا بعض الصّعوبات منها : ضيق الوقت المخصّص لإتمام المذكرة والبحث فيها ، الظروف الصّحية الصعبة إثر دخول إحدى الطالبتين المستشفى بعد الإصابة بفيروس كورونا والذي كانت آثاره وخيمة بسبب الإصابة بأمراض أخرى كمرض السّكري الذي لا تخفى على الجميع أعراضه وقد استدعى لزوم الطّالبة الفراش ممّا أثرّ على وتيرة إنجاز البحث ،أيضا ظروف العمل وثقل المسؤولية الملقاة على عاتق الطّالبتين كونهما موظّفتان

تشرفان على إدارة مؤسّستين تعليميّتين وما يترتّب عنه من الانشغال المتواصل ، بالإضافة إلى تعذّر التّواصل مع الشّاعرة والذي كان سيسهّل علينا أمورا كثيرة ،

ولا يفوتنا آخر المطاف أن نتقدّم بجزيل الشّكر والامتنان إلى الأستاذ المشرف على صبره معنا ومساعدته لنا وإلى أعضاء اللّجنة لقبولهم مناقشة هذا البحث، قراءته وتصويبه. فالشّكر الموصول لهم.

# مدخـــــل

1- مفهوم الجمالية.

2- مفهوم المكان .

3- أنواع المكان .

4- المكان في النقد الغربيّ والعربيّ

**1- مفهوم الجمال لغة:** الجمال مصدر الجميل من الفعل جمُلَ يجمل بمعناه البهاء و الحسن..[1]، كما ورد في لسان العرب أنّ "الجمال مصدر الجميل والفعل جمل وقوله عزّ وجلّ: ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونْ**﴾ **النّحل الآية (06)** أي البهاء والحسن والجمال، والحسن يكون في الفعل والخلق، وقد جَمُلَ الرَّجل (بالضم) جمالا أي زّينه والجمّال بالضمّ والتّشديد: أجمل من الجميل وجمّله أي زيّنه والتّجمل: تكلّف الجميل وجمَل الله عليك تجميلا إذا دعوت له أن يجعله الله جميلا حسنا، وامرأة جملاء وجميلة، وقال ابن الأثير: والجمال يقع على الصّور والمعاني .... ومنه الحديث الشّريف: "إنّ الله جميل يحبّ الجمال" أي حسن الأفعال، كامل الأوصاف والمجاملة، المعاملة بالجميل[2].

كما عرّفه ابن فارس في معجم مقاييس اللّغة "الجيم والميم واللاّم (ج.م.ل): أصلان أحدهما عظم الخلق والآخر حسن وهو ضدّ القبح وتجمّل: تزين، فالجمال تدور معانيه في اللّغة حول الزّينة والحسن والبهاء والنّضرة...[3].

وجاء في أساس البلاغة "للزّمخشري" في مادّة (ج.م.ل) فلان يعامل النّاس بالجميل وجمّل صاحبه مجاملة، وعليك بالمبادرة والمجاملة مع النّاس[4].

"وجمل جمالا حسن خلقه وحسن خلقه فهو جميل"[5].

أي أنّ الجمال الحسن يكون في حسن الخلق والأخلاق.

ومن خلال هذه التّعريفات المتعدّدة للجمال يتّضح لنا أنّ الجمال يكون في الصّورة وتركيب الخلقة ويكون في الأخلاق والعاطفة والأفعال: فجمال الأخلاق يقصد به الصّفات المحمودة كالعلم والحكمة والعدل.

أمّا جمال الأفعال فيكمن في كلّ فعل يلائم مصطلح الخّلق ونفعهم وكلّ ما يصرف الشّر عنهم.

---

1- الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمان ، **معجم العين**، المحقق مهدي المخزومي ،الدّكتور ابراهيم السماني ، دار مكتبة الهلال ، ج 5 ،ص387.

2 - محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدّين ابن منظور الأنصاري، **لسان العرب**، دار الصادر – بيروت، 2012، ص 12.

3 - أحمد بن فارس بن زكرياء أبو الحسن ، **معجم مقياس اللغة**، بيروت، 1420ه، جزء 01، ص481.

4 - عمر بن أحمد الزمخشري ، **أساس البلاغة** ، دار الكتب العلمية ، طر ، جزء 01 ، بيروت ، لبنان ، 1998، ص ص 148– 149.

5 - ابراهيم مصطفى، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، جزء 01، ص 136.

أمّا جمال الخلقة فهو أمر يدركه البصر ويلقيه في القلب متلائما، فتتعلّق به النّفس من غير معرفة وجه ذلك فلا ننسبه لأحد من البشر، وجمال الأنعام والدّواب من جمال الخلقة، وهو مرئيّ بالأبصار، موافق للبصائر[1].

**2- الجمال اصطلاحا:** الجمال ضدّ القبح وهو الحسن والزّينة وسنّة الحديث "إنّ الله جميل يحبّ الجمال" أي حسن الأفعال، كامل الأوصاف.

والجمال حسن الشّيء ونضرته وكماله على وجه يليق به ومعنى ذلك: أنّ كلّ شيء جماله وحسنه كامن في كماله على وجه يليق به ومعنى ذلك: أنّ كلّ شيء جماله و حسنه كامن في كماله اللاّئق به، فإنْ كانت جميع خصوصياته وكمالاته الممكنة كائنة فيه، فهو في غاية الجمال ....، فالخطّ الجميل هو الّذي جمع ما يليق بالخطّ من تناسب الحروف وتوازنها و استقامة ترتيبها وحسن تنظيمها فكلّ شيء له خصوصيّاته الجماليّة، فما يجمّل الانسان لا يجمّل الحيوان مما هو من خصوصيته وما يجمّل فنّ الخطّ لا يجمل فنّ الأصوات، وما يجمّل الأواني و يزخرفها غير ما يجمّل الثّياب وهكذا في سائر الموجودات[2] . فالجمال اصطلاحا هو الّذي يتّسم بالتّنسيق والنّظام والانسجام.

ويرى الدّكتور علي عبد المعطي محمّد أنّ الجمال بالمعنى الواسع قد يكون بسيطا أو مركّبا؛ الجمال البسيط مثل النّغمة البسيطة، الوردة المتفتّحة، الوجه الممتلئ شبابا وحيوية، أمّا الجمال المركّب فهو يتمّ بالتّعقيد في البناء وبالجهد في الفهم وبالعمق في المعنى[3].

لقد اجتهد الباحثون و الدّارسون منذ القدم في وضع معايير الجمال ، منها أنّ الجميل يتّصف بما يلي:

- التّناسب و التّوازن.
- التّنوع الفنيّ.
- الفخامة والجلال والأبّهة والرّوعة.
- البساطة في الأمور والتّعقيد في أمور أخرى.

---

1 - محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله (الإمام القرطبي)، **الجامع لأحكام القرآن**، مؤسسة الرسالة 2006 جزء 10، ص 71.
2 - بشير خلف، **الجمال فينا ومن حولنا**، دار الريحانة للكتب، القبة – الجزائر، 2007، ص 15
3 - علي عبد المعطي محمد، **مقدمات في الفلسفة**، دار النهضة العربية، بيروت، ص148.

علما أنّ الجمال فيه ما هو مكتسب وفيه ما هو فطريّ الشّيء الّذي يجعل ميزان الجمال غير ثابت ويختلف من شعب إلى شعب آخر ومتغيّر عبر العصور والأزمان ويتباين تباين الثّقافات.

فقد عرف عن العرب قديما أنّهم كانوا يتغزّلون في أشعارهم بمظهر المرأة السّمينة ووصفوها بأعذب العبارات وشبّهوا وجهها بالقمر ليلة البدر، لكنّ معيار الجمال في عصرنا الحاليّ تغيّر، فأصبحت المرأة الجميلة في عصرنا الحاليّ المرأة النّحيفة ذات القوام الرّشيق، ولقد ظهرت مقاييس تحدّد جمال المرأة وفيها ما هو غريب وعجيب منها مقياس الجمال في جنوب السّودان فبعض القبائل في السّودان وحتّى بعض الدّول الافريقيّة العربيّة منها تهتمّ بالشّقوق الّتي يقومون بإحداثها في وجه الفتاة منذ ولادتها كحماية لها وكذا على بطنها ويديها ويعتبرون المرأة غير المخمشة ناقصة وغير جميلة ولا تصلح للزّواج.

- أمّا عند اليابان فيقاس الجمال عندهم بالأقدام الصّغيرة فهم يفضّلون المرأة هادئة الصّوت والّتي تكون أقدامها صغيرة ومشيتها رقيقة ومتقاربة الخطى.

- أما عند الاسكيمو فمعيار الجمال عندهم رائحة المرأة وخاصّة رائحة الفمّ والشّعر والجسم إذ يحرصون على وضع الزّيوت العطريّة ومضغ النّباتات الّتي تعطّر وتطيّب الفم.

- أمّا في إفريقيا فبعض القبائل ترى أنَّ سوادَ المرأة مقياسٌ لجمالها فكلّما زاد سوادُ بشرتها زادت جاذبيتَّها لأنَّ ذلك ليس دليلا على جمالها فقط بل ودليلا على صفاء عرقها، كما أنّهم لا يفضلون الشَّعر الطَّويل بل يقومون بحلق رؤوس الفتيات وغيرها من المعايير والمقاييس والحقّ يقال أنّ جمال الجسم والشّكل هو ليس كلُّ شيءٍ بل أنّ جمال الرّوح هو الأبقى والأخلد لأنّه من يقود المجتمع إلى الأمام ويحقّق له التّطور والازدهار، والسّعادة لن تكون الاّ لمن جمع بين الجمال الظّاهريّ والمعنويّ.

**3- مفهوم الجماليَّة:** ورد في مفهوم الجماليَّة عدّة تعاريف أهمّها:

- "الجماليَّة، تلكم المعرفة التّي تهتدي بفضلها إلى الحكم على الحسن و تقييم الجمال، فالجماليَّة كمذهب مشهور في الفنّ بمعناها الواسع؛ هي "محبّة الجمال"، حيث ترى طائفة كبيرة من أصحاب هذا المذهب، أنّ قيمة الفنّ توجد في ممارستنا المباشرة له، و الجمالية تعطي الشَّكل أهمية كبرى، وتكون قيمة العمل الفنيِّ في الشَّكل دون الموضوع، بينما يرى آخرون من أتباع

الجماليَّة: أنّ الجمال قيمة لا غنى عنها تقديرها ضروريٌّ للحياة الخيِّرة ولكن لا يمكن فصلها عن قيمتي الخير والحقِّ[1].

- "الجماليَّة بوصفها علمًا؛ تعني محبَّة الجمال والإقبال عليه والانجذاب إليه والتّأمل في ظواهره، أخلاقياته، ويندرج تحتَ هذا المفهوم الواسع كل ما يجذبنا ويستهوينا في العالم، الّذي نحيا فيه وسرّ الابداع فيه وعظمة مبدعه ومالكه ومالنا فيه نحن البشر، من حبيب أو بيت أو قرية أو مدينة أو وطن أو العالم الكونيّ كلّه، بما فيه من سماء أو أرض أو وشجر ورياض وألوان وطير وحيوان ونبات وجماد[2].

كما يسمَّى علم الجمال في اللّغات المدروسة (استيتك) **ESTHETIC** وهي مشتقة من الكلمة اليونانيَّة (**ASTHESIS**)، وتعني الشُّعور أو الحسَّ، ويعتبر علم الجمال من أقدم العلوم الّتي طرقها الفلاسفة والمعنيون بشؤون الفكر و الفنّ و الأدب، ونجد في الفلسفتين الصّينية والهنديّة تأمّلات جمالية، كان الفلاسفة الإغريق يعتبرون الجمال مادّة الفنّ وأنّ القبح لا يصلح له، ولهذا غلب الجمال على فنون الإغريق، وقام هؤلاء الفلاسفة أمثال "هرقليط" و"دمقريط" و"أفلاطون" بتطوير الرُّؤية الجماليَّة، فمثلا كان أفلاطون يعتبر الفنَّ محاكاةً للجمال، أمّا المتعة الجماليّة فإنّها تنشأ من الانسجام بين شكل العمل الفنيِّ وجمال الفكرة، كما أنَّ الجمال الأصيل يعود إلى الفكرة الجميلة[3].

ويرى أفلاطون أنّ علم الجمال يقوم على الحقّ و الخير فيقول "إنّ الجمال والخير والحقّ حقيقة واحدة، فليس بجميل ما يقوم على الباطل ويأتي الخير منه[4].

أما أرسطو فقد طوّر نظرية أفلاطون معتمدا على المحاكاة والتّحليل الماديّ وتتلخّص نظريّته في التّمييز بين الفنّ النّافع الّذي حدّد له وظيفة اجتماعيّة مهمّة، فالفنّ في رأيه يخدم الرّاحة والتّسلية ويظهر انفعالات معيّنة لدى المتلقّي، مثلما يخدم التّعاليم الأخلاقية ويضع للمعايير الجمالية نظاما ومقياسا معينين[5].

---

1- ، بشير خلف، **الجمال فينا ومن حولنا**، ص35.
2- هادي نهر، **من جماليات القرآن**، عالم الكتب الحديث، ط1، 2018، ص01.
3 - بشير خلف، **الجمال فينا ومن حولنا** ، ص 37 – 38.
4 - عدنان رشيد، **دراسات في علم الجمال**، دار النهضة العربية، بيروت، ص 52.
5 - بشير خلف، **الجمال فينا ومن حولنا** ، ص38.

وكان لكتابة " الشّعر" تأثيرا مثمرا في تطوّر علم الجمال حتّى يومنا هذا ....

أمّا في عصر النَّهضة بأروبا فيعتبر "فولتير" و " متسيكو" و "ديدرو" هم النّاطقون الشَّرعيون لعلم الجمال بفرنسا حيث يرى ديدرو: "أنّ وظيفة الفنّ تعتمد على عملية تصوير الواقع وتجسيده وإبراز الجوهر الحقيقيّ للجمال[1].

وكان الفيلسوف "كانط" يقول: "إنّ الجمال هو ذلك الذي يكون ممتعا بالضرورة وهذه المتعة تنبعث من نفوسنا ونحن ندرك هذا الجمال، ينبغي أن تكون هذه المتعة مقطوعة الصلة تماما بأية فائدة مهما كانت"، وقال أنّ الجمال جمال حرّ وجمال تابع....)[2]، و يكون الجمال حرّا إذا كان منعدم الغرض و يكون تابعا إذا كان الشّيء الجميل يشير إلى غرض خاص.

وملخّص مفهوم "كانط" للجمال في الفصل بين الشّكل والمضمون وبين الجميل كشيء جميل في ذاته وبين المفيد كشيء نافع للمتّلقي، إنّ الفيلسوف "كانط" هو الّذي وضع الأساس الفكريّ لمذهبين فكريين أو مدرستين هما: مدرسة الفنّ للفنّ والمدرسة التي يقول الفنّ للّهو[3].

ثم جاء بعده الكاتب والشّاعر الألمانيّ شيلو (1759 – 1805) وقال: "أنّ العمل الفنيّ لون من ألوان النّشاط الثّقافي الخالي من الغرض"[4].

ومما ذكر فقد عالج هذا الجيل من الفلاسفة النّواحي العاطفية والرّوحية والأساسية للجمال.

فعلم الجمال هو ذلك العلم الّذي يدرّس الشّكل الجماليّ للاستيعاب الفكري عن الواقع الّذي يطفو على سطح الحياة اليوميّة وفي الفنّ أيضا، إنّ علم الجمال أو الاستيتيك بمعناه الدّقيق هو "علم قوانين التّطور العامّة للفنّ ويعتبر الفنّ أعلى شكل في عملية الاستيعاب الجماليّ عن الواقع[5].

## 4- مفهوم المكان لغة واصطلاحا:

### 4-1 - المكان لغة:

لقد وضع أغلب اللّغويين القدامى للمكان مفاهيم متقاربة أهمّها:

---

1 - بن عزوزي عبد الله ،**فن التمثيل بين الصنعة ونظريات الجمال دراسات فنية** ، ط 5، العدد 1 ، ص105.
2- المرجع نفسه ، ص106 .
3- إمانوئيل كانت، نقد وقوة الحكم، **دراسات في علم الجمال**، دار النهضة العربية – بيروت ، ط1، 1985، ص 171.
4- بشير خلف، **الجمال فينا ومن حولنا** ، ص42.
5- المرجع نفسه ، ص42.

جاء في لسان العرب لابن منظور أنّ المكان تحت مادّة (م.ك.ن) يقال: "المكان والمكانة واحد والمكان الموضع والجمع أمكنة، أماكن"[1].

وجاء في الصّحاح للجوهريّ كلمة المكان تحت مادّة (ك.و.ن) وفيه المكانة " المنزّلة والمكانة الموضع"[2].

وجاء في المعجم الوسيط المكان جمع أماكن وأمكنة و " موضع كون الشّيء والمكانة جمع المكان والموضع والمنزلة يقال يكمن فيه أي موجود فيه"[3].

والمكان عند الفيروز أبادي في قاموسه بمعنى الموضع والجمع أمكنة وأماكن[4].

وفي اللّغة العربيّة وردت مفردات أخرى تدلّ على المكان، الحيّز، الخلاء، والأين والمحلّ، ونستطع من كلّ ما سبق ذكره أن نلاحظ مدى التّشابه الوارد في المعنى اللّغوي للمفردة.

**2-4- المكان اصطلاحا:**

تناولت الدّراسات مصطلح المكان وجاء مفهومه يحمل الكثير من المعاني والدّلالات في مجالات مختلفة أبرزها:

**أ- مفهوم المكان في الفلسفة:** شغل المكان اهتمام علماء الفلسفة قديما وحديثا ففي الفكر الفلسفيّ القديم يعدُّ أفلاطون (348-428 ق.م) أولَّ من صرّح به حيث اعتبر المكان غير حقيقيٍّ وهو الحاوي للموجودات المتكثّرة ومحلّ التّغيير والحركة في العالم المحسوس عالم الظّواهر غير الحقيقيّ[5].

وبعده جاء أرسطو (322–384 ق.م) الّذي أسهب في بحثه عن فلسفة المكان من خلال كتابه "السّماع الطبيعيّ" فبيّن أنّه موجود بدليل أنّه يوجد جسم فيمكن أن ينتقل عنه يشغل محلّه جسم آخر، ومعنى هذا أنّ المكان يختلف عن أيّ شيء يتحيّز فيه، ثمّ أنّ العناصر الطبيعيّة

---

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، جزء 04، ص 2016

2 - ابن اسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحيح تاج اللغة العربية والصحاح العربية**، .....).

3 - إبراهيم مصطفى، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية مصر ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط5 ، 2011 ، ص 385.

4 - محمد بن يعقوب مجد الدين ( الفيروزابادي) ، **القاموس المحيط**، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 489.

5 - أسماء شاهين، **جماليات المكان في روايات ابراهيم جبرا**، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2001، ص 09.

جميل بعضها إلى فوق وبعضها الآخر إلى تحت والفوق والتّحت ليس نسبيين فقط إلينا بل الفرق هو الاتّجاه الّذي تتحرّك نحوه النّار والتحت هو الاتجاه الّذي تتحرّك نحوه الأرض[1].

- أمّا المكان عند اقليدس فهو يتمثّل في ثلاثة أبعاد (الطّول والعرض والعمق )، ثمّ جاء الرّياضيون المحدثون في القرن التّاسع عشر وعلى رأسهم "جاوس" و "ريمن" و "بولياي" فقد أثبتوا أنّ المكان الإقليدسيّ ليس إلاّ واحدا من أنواع المكان[2].

- أمّا المكان عند الفلاسفة العرب من المتكلّمين فهو "الفراغ المتوهّم الّذي يشغله الجسم و ينفذ فيه أبعاده ويرادفه الحيّز"[3].

- هو عند ابن سينا (ت427 ه) "السّطح الحاوي لسطح المتمكّن وسطحه هو نهاية الحاوي المساوي لنهاية المحوي"[4].

-أمّا ابن الهيتم (ت340ه) فقد نظر إلى المكان بأنّه "النّهايات المحيطة بالجسم الطبيعيّ كما عدّه بعيدا متخيّلا يحيط بالجسم تكون أبعاده وأبعاد الجسم واحدة"[5].

ويمكن القول أنّ هذا التّباين والاختلاف الّذي ورد لدى الفلاسفة في تحديد مفهوم المكان مردّه اختلاف عصورهم وتصوّراتهم فبعضهم نظر إلى المكان من خلال تجربته والبعض من خلال تخيّله وفلسفته الخاصّة وهو دليل قاطع على ما اكتساه مفهوم المكان من اهتمام لديهم كونه ذا أهمية كبرى يتوقّف عليها وجود الانسان في هذه المعمورة.

**ب-مفهوم المكان في علم الاجتماع:**

أرجع علماء الاجتماع مفهوم المكان إلى الأصول السّوسيولوجية وفق مفاهيم مختلفة أهمّها:

- رأي "دوركهايم" الّذي رفض تصوّر "كانط" للمكان والّذي يفضي بعدم محدودية المكان كونه وسط متجانس على اعتبار أنّه إذا كان المكان شيئا متجانسا فيستحيل على العقل إدراكه أو تصوّره والمكان عند "دوركهايم" لا يصدر صدورا ذاتيا أو قبليا عند بنية العقل كما أنّه

---

1 - المرجع نفسه ، ص09.
2 - بداوي عبد الرحمان، **مدخل جديد الى الفلسفة**، وكالة المطبوعات، الكويت، ص 196– 197.
3 - أسماء شاهين ، **جماليات المكان في روايات ابراهيم جبرا** ، ص10.
4 - العيدي حسن مجيد، **نظرية المكان في فلسفة ابن سينا**، مراجعة د/ عبد الأمير الأعجم ، دار اشؤون الثقافية العامة ن بغداد، 1987 ،ص197.
5- غيداء شلاش، أحمد سعدون، **المكان و المصطلحات المتقاربة – دراسة مفهوماتية**، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، ط11، العدد 2، بغداد، ص247.

ليس المكان المطلق الّذي يتّسم بسمة العموم و إنمّا هو مكان نسبي يحدّده موقف الفرد في المكان الفيزيقيّ والمكان الاجتماعيّ[1].

-وجاء عالم الاجتماع "مارسيل جرانيت" و "شاريم سوروكين" وأكدّ ما جاء به "دوركهايم" في تفسيره لفكرة المكان

-أما عالم الاجتماع "موريس هاليفاكس" فيذهب إلى أنّ الزّمان والمكان إطاران اجتماعيان للذّاكرة، حيث يكونان الإطار الّذي تختزن فيه الذّكريات الاجتماعيّة وبمعنى آخر يصبح الزّمان والمكان شرطين ضروريين لحفظ التّراث الثّقافيّ أو الحضاريّ للمجتمع الإنسانيّ[2].

**جـ- المكان في الأدب:**

للدّلالة على أهمية المكان في العمل الأدبيّ كونه أحد الرّكائز الأساسيّة الّتي يرتكز عليها العمل الأدبيّ سواء كان رواية أو شعرا كون العمل الأدبيّ عموما يحتاج إلى مكان تدور فيه الأحداث وتتحرّك فيه الشّخصيات سواء كان المكان حقيقيّا أو خياليا، فعلى حد قول "جاستون باشلار": "إنّ العمل الأدبيّ حين يفقد المكانية فهو يفقد الخصوصيّة وبالتّالي أصالته"[3]، ويقول أيضا: "المكان هو المكان الأليف، وذلك هو البيت الّذي ولدنا فيه أي بيت الطّفولة إنّه المكان الّذي مارسنا فيه أحلام اليقظة وتشكّل فيه خيالنا فالمكانية في الأدب هي الصّورة الفنيّة الّتي تذكّرنا أو تبعت فينا ذكريات بيت الطّفولة ومكانية الأدب العظيم تدور حول هذا المحور"[4].

ومن خلال قوله يتّضح لنا أنّ "باشلار" ينظر للمكان من وجهة علم النّفس بالتّركيز على أثر المكان في نفسية الإنسان، ويقول أيضا: "أنّ المكان الّذي ينجذب إليه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لامباليًا ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعيٍ فقط بل بكل ما للخيال من تحيّز[5].

---

1- عز الدين اسماعيل، **علم الاجتماع والفلسفة**، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ج 1، 2004 ، ص 55.
2- أسماء شاهين، **جماليات المكان في روايات ابراهيم جبرا** ، ص15.
3 - غاستون باشلار، **جماليات المكان**، ترجمة غالب هلسة، ط1، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ص06.
4 - المرجع نفسه، ص04.
5 -غاستون باشلار ، **جمالية المكان** ، ص31.

لقد ميّز "باشلار" بين المكان الحقيقيّ المحدّد بالمسافات وبين المكان الخياليّ الّذي يكون بعيد الآفاق والمعبّر عنه بدلالات مختلفة بحسب الموضوع المراد الخوض فيه في المنتوج الأدبيّ، والّذي ينطلق من قدرته على الإبداع والتأمّل والتّعبير عن واقعه المعيش، في آن واحد.

كما أشار "غالب هلسة" إلى أهمية المكان في العمل الأدبيّ بقوله: "أنّ العمل الأدبيّ حين يفقد المكانية فهو يفقد الخصوصيّة وبالتّالي أصالته"[1].

ومن ثمّة فالمكان في الأدب ، يرتبط ارتباطا وثيقا في أيّ إبداع أدبيّ بالخيال والحالة النّفسية وواقعه الاجتماعيّ، يستطيع أن ينطلق من خلاله إلى ملكة التّحرير والكتابة سواء كانت نثريّة أو شعريّة، فالمكان في العمل الروائيّ أصبح عنصرا أساسيّا ،إذ لم يعد يعتبر الخلفية الّتي تقع فيها الأحداث وحسب ،بل أصبح عنصرا تشكيليّا من عناصر الإبداع الروائيّ ويشكّل بعدا جماليا داخلها، "وبذلك المكان الروائيّ هو العمود الفقريّ الّذي يربط أجزاء الرّواية ببعضها البعض"[2].

أمّا في الشّعر فالمكان يقع بين زاويتين ،هما زاوية التّشكيل الشّعريّ وزاوية التّأويل ؛ ففي الزّاوية الأولى تتشكّل وفقا لرؤية شعرية غالبا ما يتحكّم فيها الخيال لمنحها بعدًا تأثيرياّ جماليًّا، وفي ضمن الزّاوية الثّانية يكون الإحساس عند المتلقّي ورؤيته الذّوقية والنّقدية أثّر في حياته وفي تجربة الشّاعر، ولهذا يكون المكان المدمج في بنية القصيدة منفتحا على عالم التّخيل عند المتلقّي[3].

دون أن نتناسى دور وأهمية اللّغة الشّعرية والكمالية وتأثيرها على المكان هذه الأخيرة الّتي تمتزج بالخيال وفق مجموع التّصورات الّتي تتشابك وتتقاطع فيما بينها.

ويعد الشّاعر و النّاقد "عزّ الدين مناصرة" من أبرز الشّعراء الّذين اهتموا بالمكان حتىّ أصبح يلقّب بشاعر المكان الفلسطينيّ الأوّل[4].

---

1 غالب هلسة، **دراسات نقدية**، ط1، دار الكنوز الأدبية، بيروت– لبنان، ص07.
2 - غالب هلسة، **المكان في الرواية العربية**، دار ابن هاني، دمشق، ط1، 1983، ص09.
3 - جاسم علي متعب، منى شفيق، **فعالية المكان في الصورة الشعرية – سيفيات المتنبي نموذجا**، مجلد 01، العدد 40، العراق ،2009 ، ص04.
4 - زايد محمد ارحيمة الخوالدة، **صورة المكان في شعر عز الدين مناصرة**، دار الراية لنشر والتوزيع، ط1، عمان – الأردن، 2012، ص12.

فلم يكن هاجس هؤلاء الشّعراء تصوير أو وصف الطّبيعة أو المكان بقدر ما هو توحّد مع الأرض و المكان فعلاقة الإنسان بالمكان علاقة فطرية متجذّرة لذلك جاء الاهتمام بالمكان ليبقى حيّا نابضا يبعث فيه الحياة و يتجدّد فيه الطّاقة ليبقى محافظا على هويته وأصالته الّتي هي هويّة الانسان المنتمي إليه، وهذا ما نجده عند "محمود درويش" فإنّ ما يريده هو أن يتوحد مع الأرض وليس مع الطبيعة، لاتصالها المباشر بالإنسان، وفي موتها وبعثها المتحددين على هيئة الإنسان وصورته ليس مع الطبيعة ذاتها لأن الأرض هي التي تعطي الطبيعة اللون والرائحة والطعم[1].

فالمكان يحمل تلك القيمة الشّعرية الرّاقية حيث يعيد الشّاعر إنتاج ما عرفه عن المكان وما استوحاه منه بل أنّ الشّاعر الحقّ هو من ينسج المكان شعريّا من جديد وبطريقة لا تعزله عن منظومة الفكر وأكثر السّمات الّتي تحقّق الشّعرية للمكان هي أربعة: الأولى تحويل الذّات إلى موضوع، والثّانية أنسنة المكان، والثّالثة ذاكرة المكان، والرّابعة تغريب المكان.

أمّا الأولى: تحويل الذّات إلى موضوع فتعني أن يحوّل الشّاعر ما يريد أن يتحدّث به عن حاله إلى المكان وفي النّص يضع ما يسوّغ لنا هذا التّحويل.

وأمّا الثّانية: أنسنة المكان فتعني أن يحوّل المكان إلى إنسان يتأثّر ويؤثّر وهو في ذلك يحاول أن يختلس دور البطولة أو المشاركة في أحداث الحياة اليوميّة للإنسان.

وأمّا الثّالثة: ذاكرة المكان فما يجعل المكان شعريّا هو اتصاله القويّ بخبراتنا الشّخصية فيه، إضافة إلى خبرات الّذين نرتبط بـهم برابطة الدّم أو الثّقافة فذاكرة المكان ليست ذاكرة بادرة أو آلية او أرشيفيةّ، إنـّها جزء من الحياة الّتي لا يطالها تحوّل الزّمن تبدو أكثر قدرة على تجلية تلك الشّعرية خاصّة أنّنا نتناول النّص الّذي ينتجه الشّاعر ليحمل رؤيته للمكان عبر طاقة الشّعر.

وأمّا الرّابعة: تغريب المكان فهي ضدّ ألفة المكان وهي أقوى تحقيقا لشعريّة المكان، لأنّ الشّعر وحده هو القادر على إحداث هذا التّغريب، إنهّا تعني تفسير دورة الوجود في المكان نتيجة التّغيرات المختلفة الّتي تشهدها حركة الإنسان في المكان بصورة مخالفة لرؤية الشّاعر إذ يستطيع الشّاعر عبر طاقة الشّعر أن يجرّد المكان من خصوصية الماضي فيقطع المطر عنه

---

1 - المرجع نفسه، ص12 .

ويجفّف الشّجر عنه وما إلى ذلك ليقول لنا أنّ الرّاهن هزيل ومجحف ومستغرب ومرفوض وأن جماليات المكان تتصل بالماضي ولن تعود الأمور الى نصابها مالم تتغير حركتها في المكان نحو ذلك المطلق الّذي يريده الشّاعر لأمّته وإلى أن تتغيّر تلك الحركة سيبقى الشّاعر ثائرًا أو مغتربا عن المكان ومن فيه[1].

**د- المكان في النّقد الغربيّ والعربيّ :**

**د-1- المكان في النقد الغربيّ:**

حاول النّقاد الغربيّون التّعبير عن المصطلحات، والّتي يصبّ جميعها في مفهوم المكان، وهي الحيز، المجال، الموقع والفضاء...

فالمنّظرون الألمان ميزّوا بين مكانين متعارضين في العمل المكانيّ؛ هما (**lokal**) و (**RAUM**)حيث عنوا بالأوّل، المكان المحدّد الّذي يمكن أن تضبطه الإشارات الاختياريّة كالمقاسات والأعداد، في حين قصدوا بالثّاني: الفضاء الدّلاليّ الّذي تؤسّسه الأحداث ومشاعر الشّخصيات في الرّواية[2].

أمّا عن النّقاد الفرنسيّين، فقد ضاقوا ذرعًا بمصطلح (**lieu**) الموقع، فعمدوا إلى استخدام كلمة (**Espace**) الفضاء، إذ اعتبر كلّ من "غاستون باشلار" و "بولي" الفضاء محتوى تتجمّع فيه الأشياء المتفرّقة، أو عليه التذكّر، وذلك من خلال جدليّة "الدّاخل والخارج بالنسبة لباشلار، والمسافة الدّاخلية بين الفكرة وموضوعها بالنسبة لبولي"[3].

---

1 - ابراهيم أحمد ملحم، **شعرية المكان قراءة في شعر مانع سعيد العتيبة**، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011، ص 7 – 8 – 9،
(بتصرف).

2حسن بحراوي، بنية **الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)**، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1990، ص26.

3- باديس فوغالي، **الزمان والمكان في الشعر الجاهلي**، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الاردن، ط1، 2008،ص175.

أما "غريماس" فقد انطلق في مفهومه للمكان، من منطلق الرّؤية **vision de l'éspace**، إذ يرى أنّه – أي الفضاء النّصيّ- حسب اقتراحه موضوعا مهيكلا، يحتوى عناصر متقطّعة غير مستمرّة، لكنها منتشرة عبر امتداده وفق نظام هندسيٍّ متميّز، يسهم في تصوير التَّحولات والعلاقات المدركة والمحسوسة بين الذوات الفاعلة داخل الخطاب السّرديّ[1].

كما تقترح النَّاقدة "جوليا كريستيفا" من خلال دارستها لفنِّ الرِّواية رؤية الفضاء، (**vision de l'espace**) الِّذي ترى في صوته الرؤية الفنيَّة للمبدع في عمله الإبداعيِّ إزاء الكون وما يحيط[2].

ولم يكتفي نُقَّاد الإنجليز ولم يرضوا عن اتساع **Place/Space**، (مكان/فراغ) وأضافوا استخدام كلمة **Location** (بقعة) للتَّعبير عن المكان المحدَّد لوقوع الحدث[3].

ومن أهمِّ الدِّارسات الغربيَّة حول المكان؛ دارسة "غاستون باشلار" وذلك في كتابه (شعرية الفضاء) (1957)، والّذي ترجمه "غالب هلسا" (الأردن) عن الإنجليزية 1980م بعنوان (جماليات المكان)[4]، و أوضح "هلسا" أنَّ النُّقطة الأساسيَّة الَّتي ينطلق منها المؤلِّف هنا هي البيت القديم، هو مكان الألفة ومركز تكيُّف الخيال، وعندما نبتعد عنه نظلُّ دائما نستعيد ذكراه، ونسقط عليه الكثير من مظاهر الحياة المادِّية، ذلك الإحساس بالحماية والأمن الَّذين كان يوفرِّهما لنا البيت، أو هو البيت القديم، كما يصفه "باشلار" عندما "يركّز الوجود داخل حدود الحماية". إنّنا نعيش لحظات البيت من خلال الأدراج والصّناديق والخزائن، الّتي يسمّيها "باشلار" (بيت الأشياء)، العشّ يبعث إحساسنا بالبيت، لأنَّه يجعلنا "نضع أنفُسنا في أصلِ منبع الثِّقة بالعالم... هل كان العصفور يبني عُشَّه، لو لم يكن يملك غريزة الثِّقة بالعالم؟ القوقعة تجسِّد انطواء الإنسان داخل المكان في الزوَّايا والأركان، لأنَّ فعل الانطواء ينتمي إلى ظاهرتيه، فعل يسكن"[5].

---

1- المرجع نفسه، ص 175 – 176.
2 - المرجع السابق ، ص 175.
3 - سيزا قاسم، **بناء الرواية، دراسة مقارنة في (ثلاثية) نجيب محفوظ**، مكتبة الاسرة، القاهرة، مصر، 1978، ص106.
4 - عبد الله أبو هيف، **جماليات المكان في النقد الأدبي المعاصر**، مجلة تشرين للدراسات و البحوث العلمية، سلسلة الأدب و العلوم الإنسانية، المجلد 32، العدد 01، 2005، ص124.
5 - غاستون باشلار، **جماليات المكان**، (تر) غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص09.

لقد ركّز "باشلار" في دارسته على البيت الأليف، ولم يتعرّض للبيت المعادي. والمكان الفنّي عند"باشلار" هو البيت الأليف، "المكان في الصُّورة الفنّيّة هو المكان الأليف، ذلك البيت الّذي ولدنا فيه، أي بيت الطُّفولة، إنّه المكان الّذي مارسنا فيه أحلام اليقظة وتشكّل في خيالنا، فالمكانية في الأدب هي الصّورة الفنيّة التّي تذكّرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطّفولة، ومكانيّة الأدب العظيم تدور حول هذا المحور"[1].

ومن هنا يمكن أن نميّز بين مستويين في المكان لدى "باشلار" كالتّالي[2]:

- **معمارية المكان:** الّتي تعني الأبعاد الهندسيّة والجغرافيّة للمكان، إذ يتجلّى المكان في المقام الأوّل بوصفه كيانا هندسيّا واقعيّا، بحيث يعدّ البعد الجغرافيّ للمكان ممثلا لأبعاده الموضوعيّة المميّزة له.
- **شاعرية المكان:** والّتي تظهر، وتجسّد لنا البيت الأليف أو بيت الطّفولة، الّذي يتسّم بقيم الحماية والأمان والاحتواء، أي المكان الأليف الذي وصفه "باشلار"؛ بأنه "يركز الوجود داخل حدود تمنح الحماية".

أكدّ "باشلار" أنّ المكان في الفنّ ليس مجرّد مكان هندسيّ خاضع للقياس، بل هو مكان يمثّل تجربة شخصيّة عاشها الفنّان. ويتميّز المكان في الفنّ بأنّه ممتلئ بالصّور والرموز والدّلالات، التّي تعبّر عن مشاعر وأفكار الفنّان، وتجعل من المكان عنصراً هاماً في التّعبير الفنيّ.

أخيرا يمكننا الاستنتاج أنّ كتاب "شعرية المكان" الذي ألّفه "باشلار"، يعتبر واحداً من الدّراسات الأولى الّتي تسلّط الضّوء على أهمية المكان في الشّعر، وقد لفت انتباه الدّارسين إلى هذه الجوانب المهمّة في الشّعر.

**د-2- المكان في النّقد العربيّ:**

كان المكان في النّقد العربيّ غير مرموق ،ليكون عنصر من العناصر الأساسيّة في بناء الفنون السّردية والمشهديّة، سواء في الأدب مثل الرّواية والقصّة والمسرحيّة، أو في الفنون البصريّة مثل السّينما والفنّ التّشكيلي، إلى حين منتصف القرن العشرين.

---

1 - المرجع السّابق ، ص06.
2 - جواد هيئة، **صورة المكان ودلالاته في رواية واسيني الأعرج**، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012 – 2013، ص 51.

فقد بدأ الاهتمام بمصطلح المكان في النّقد العربيّ، بترجمة النّاقد والرّوائيّ "غالب هلسا" كتاب "شعرية الفضاء" **poétique de l'espace** لـ "غاستون باشلار"، إذ نقله إلى العربيّة تحت عنوان "جماليّات المكان" ثمّ تلته دارسات أخرى[1].

ويرى الرّوائيّ والنّاقد "حسن بحراوي" في كتابه بنية الشّكل، فيقول: "أنّه لا يوجد أيّ نظرية للمكان الرّوائيّ، ولكن يوجد فقط مسار للبحث ذو منحنى جانبي غير واضح. وقد مّثل هذا التّوجه الأكثر حيويّة "غاستون باشلار"، عندما قام في "شعرية المكان" بدراسة القيم الرّمزيّة المرتبطة بالمناظر، الّتي تتاح لرؤية السّارد أو الشّخصيات، سواء في أماكن إقامتهم كالبيت والغرف المغلقة أو في الأماكن المنفتحة، الخفية أو الظّاهرة المركزيّة أو الهامشيّة ... وغيرها من التّعارضات، الّتي تعمل كمسار يتّضح فيه تخيّل الكاتب والقارئ معا"[2].

ويقول أيضا في كتابه: "إنّ الفضاء في الرّواية، ليس في العمق سوى مجموعة من العلاقات الموجودة بين الأماكن والوسط والدّيكور، الّذي تجري فيه الأحداث والشّخصيات الّتي يستلزمها الحدث، أي الشّخص الّذي يحكي القصّة والشّخصيات المشاركة فيها"[3].

وفي كتاب بنية النّصّ السّردي لـ "حميد الحميداني" يقول: "فضاء الرّواية، الفضاء أشمل، وأوسع من معنى المكان. والمكان بهذا المعنى هو مُكوّن الفضاء. ومادامت الأمكنة في الرّوايات غالبا ما تكون متعدّدة، ومتفاوتة، فإنّ فضاء الرّواية هو الّذي يلفّها جميعاً. إنّه العالم الواسع، الّذي يشمل مجموعة الأحداث الرّوائية، فالمقهى أو المنزل، أو الشّارع، أو السّاحة كلّ واحد منها يعتبر مكاناً محدّداً، ولكن إذا كانت الرّواية تشمل هذه الأشياء كلّها، فإنّها جميعاً تشكّل فضاء الرّواية"[4].

أمّا النّاقد الجزائريّ عبد المالك مرتاض أعطاه أهمية في العديد من الدراسات، حيث يعرّفه في كتابه "تحليل الخطاب السّردي" بقوله: "هو كلّ ما عنى حيّزا جغرافيّا حقيقيّا، من حيث أنّنا نطلق الحيّز في حدّ ذاته، على كلّ فضاء خرافيّ، أو أسطوريّ، أو كلّ ما يند عن كلّ

---

1 - عبد الله أبو هيف، **جماليات المكان في النقد الأدبي المعاصر** ، ص124.
2 - حسن بحراوي، **بنية الشكل الروائي** ، ص25.
3- المرجع نفسه، ص31.
4 - حميد الحمداني، **بنية النّص السّردي من منظور النقد الأدبي**، الناشر المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1999 ، ص63.

المحسوس: كالخطوط، والأبعاد والأحجام، والأثقال، والأشياء المجسّمة مثل الأشجار، والأنهار، وما يعتور هذه المظاهر الحيزية من حركة أو تغير"[1].

وهناك من فرّق بين المكان والحيّز: "إذ يرى أنّ المكان يدلّ على ما هو جغرافيّ ماثل بتفاصيله، أمّا الحيّز فيدلّ على ما هو غير ذلك في النّص. ويعني به الحيّز النّصيّ المشكّل من سرد ووصف وحوار وما إلى ذلك"[2].

وفي الأخير يمكننا استنتاج أنّ نظرة الدّارسين للمكان كانت متباينة، حيث تعدّدت واختلفت آراؤهم حول المكان بمعنى اختلافهم الواسع في شرح مفهومه، كلّ هذا التنوّع يؤول إلى إلزامية توحيد آرائهم وضبطها، من أجل توحيد المصطلحات، الّتي تعّبر عن هويّة الأمّة العربيّة الإسلاميّة.

**5- أنواع المكان:**

تعدّ الأماكن أحد العناصر الهامّة في الرّواية، إذ تساعد في بناء الأجواء وتقديم الشّخصيات وتحريك الأحداث. وتنوّعت أنواع المكان في الرّواية بحسب الدّور الّذي تلعبه في سير الأحداث والتّأثير على الشّخصيات وفيما يلي سندرس كلّ نوع على حدى كالتّالي:

**5-1المكان المجازيّ:** "هو المكان الّذي لا يتمتع بوجود حقيقيّ بل هو أقرب إلى الافتراض، وهو مجرّد فضاء تقع فيه الحوادث مثل خشبة مسرح يتحرّك فوقها الممثّلون"[3]، فهو مكان لتصرّفات الشّخصية في الرّواية ومكمّل لها.

**5-2-المكان الهندسيّ:** "هو المكان الّذي يظهر في الرّواية، من خلال وصف المؤلّف للأمكنة الّتي تجرى فيها الحكاية، واستقصاء التّفاصيل دون أن يكون لها دور في جدليّة عناصر العمل الرّوائي الأخرى"[4]، هذا المكان يعدّ شكلا هندسيّا في الرّواية

---

1- عبد المالك مرتاض، **تحليل الخطاب السردي – معالجة تفكيكية سينمائية مركبة لرواية زقاق المدق**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص245.
2- باديس فوغالي، **الزمان والمكان في الشعر الجاهلي** ، ص177.
3 - إبراهيم خليل، **بنية النص الروائي**، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010، 133.
4 - المرجع السابق، ص133.

**5-3-مكان العيش:** "المكان الأليف هو الّذي يستطيع أن يثير لدى القارئ ذاكرة مكانه، فهو مكان عاش الرّوائي فيه، ثمّ انتقل منه ليعيش فيه بخياله بعد أن ابتعد عنه"[1]، توظيف الرّوائي بنسج من الخيال لمكان عيشه في رواية.

**5-4-أماكن الإقامة:** تتميّز أماكن الإقامة في الوقت الحاضر بعدم الاستقرار والثّبات، وتختلف بشكل كبير من مكان لآخر. تمّثل هذه الأماكن فضاءً مغلقًا، حيث يصبح الأفراد منطوين على أنفسهم بغرض تحقيق أهدافهم المختلفة. يمكن أن تكون هذه الأهداف تتعلّق بالعمل أو الاستكشاف أو نظام اجتماعي محدّد يوفّر الحرّيّة في تلبية الاحتياجات. يمكن تقسيم هذه الأماكن إلى أماكن اختياريّة وأماكن إجباريّة وفقًا لتعريفها الخاصّ الذي حدّده مهدي عبيدي و هي كالتّالي:

**5-5- المكان الإختياريّ:** "المكان الّذي يحمل صفة الألفة وانبعاث الدّفء العاطفيّ، ويسعى لإبراز الحماية والطّمأنينة في فضائه، لهذا فالشّخصية تسعى إليه بإرادتها من دون قيد أو ضغط يقع عليها، لأنّ اختيار المكان يكون بالإرادة لا بالإجبار والإكراه كالبيوت والمتاجر والمكاتب"[2]، هناك المكان تكون فيه الرّاحة والشّعور بالأمان.

**5-6- المكان الإجباري:** "يتكوّن المكان المغلق الإجباريّ من مكان محدّد المساحة ويتصف بالضّيق وهو فضاء طارئ ومفارق للمعتاد مثل الإقامة في السّجن أو الإقامة الجبريّة الّتي تفرض على المرء، فهذه الأمكنة إقامة وثبات للقيد والحبس والإكراه، فالأمكنة الإجبارية معنيّة بالإقامة التي تبعد المرء عن العالم الخارجيّ وتعزله عنه، بل تقيّد حرّيته"[3].

يلاحظ أنّه يحدث تفاعل بين أماكن الإقامة، حيث توجد أماكن اختياريّة وأماكن إجباريّة، ولكلّ منهما ميزة خاصّة. ومن المهمّ الإشارة إلى أنّ وصف هذه الأماكن لا يقتصر على هذه الحدود المحدّدة، فقد تمّ ذكر مثالين فقط لتوضيح معانيها.

**5-7-أماكن الانتقال:**

---

1 - المرجع نفسه ، ص133.

2 - مهدي عبيدي، **جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار، الدفل ، المرفأ البعيد)**، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011، ص47.

3 - عجوج فاطمة الزهراء، **المكان ودلالته في الرواية المغاربية المعاصرة**، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس، 2017 – 2018، ص 50 – 51.

تمثّل هذه الأماكن بيئات تشّجع على انتقال الشّخصيات، حيث تتداخل الأماكن مع بعضها البعض، وتختلف من حيث درجة وجودها في الرّواية، وتنقسم هذه الأماكن إلى نوعين:

**5-8- أماكن انتقال عامة:** "تتميّز هذه الأماكن بالعموميّة مثل: المدن، السّاحات، المطارات، الممرات، الشّوارع، الجسور، وهي مكان ينشأ ويتميّز بالانفتاح والانطلاق والتّحرّر، فهو مكان انتقاليّ يعتبر مادّة مشهديّة خصبة ولما عليه من أبعاد ورموز سياسيّة واجتماعية، فهو مكان انتقاليّ عام، وأيضا فضاء المدن فهي تنفتح على أمكنة عديدة من شوارع وممرات ومساجد وفنادق"[1].

**5-9- أماكن انتقال خاصة:** "تقتصر هذه الأمكنة على فضاءات معينة، لا تدخلها إلاّ فئة خاصّة من الشّخصيات على عكس الأماكن العامّة مثل: فضاء المقهى، المعرض، وبذلك تتحدّد المسارات وتتحرّك الشّخصيات فهي تنبني في اللّحظة التّي تنبني من خلالها الشّخصية ،وضعها في المكان الانتقاليّ الخاصّ الذي تتواجد فيه"[2].

يتبيّن أن تميّز الأماكن العامّة للانتقال داخل الرّواية بالاتّساع والتّشجيع مبني على انتقال الشّخصيات بينها، ويمكن لأيّ شخص داخل الرّواية الولوج إليها. بمعنى آخر، هذه الأماكن تعدّ فضاءات عامّة متاحة للجميع، بالمقابل، تمتاز الأماكن الخاصّة بالانتقال داخل الرّواية بالخصوصيّة، حيث تحدّد مساراتها ولا يمكن الولوج إليها إلا بالإذن أو بطريقة محدّدة. على سبيل المثال، يمكن للشّخصيات الوصول إلى مكان معيّن عن طريق السّفر في وسيلة نقل خاصّة، أو بالوصول إلى مكان يحتاج إلى مفتاح أو كلمة مرور.

**5-10-الأماكن المفتوحة والأماكن المغلقة:**

تحتوي الرّواية على الأماكن المفتوحة والمغلقة، الّتي تتواجد بشكل أقلّ في حركة السّرد، وتؤثّر على تطوّر أحداث الرّواية وكشف معلومات عن شخصيّات الرّواية، وسلوكياتهم وأفعالهم وهواجسهم وأحلامهم وتصورّاتهم للواقع المحيط بهم. وتعدّ الأماكن المفتوحة والمغلقة أحد العناصر الأساسيّة في تكوين جوّ الرّواية، وتعزيز الأحداث والشّخصيات، أهمّها ما يلي:

---

1 - المرجع نفسه، ص -51 .
2 - المرجع نفسه ، ص -51

**أ- المكان المفتوح:** "هو المكان الّذي لا تحدّده الحدود الفاصلة بين الناس، بل هو مكان للنّاس كلّهم له قوانين عامّة وملك للجميع، ويتردّد عليه الفرد من دون قيد أو شرط، مع عدم الإخلال بالعرف الاجتماعيّ أي ممارسة سلوك غير سويّ...، وهو عنصر أساس تتحرّك من خلاله الشّخصيات الرّوائيّة، فضلا عن كونه عضيد الزّمن الّذي يتعامل منه، وتمثّله الشّوارع والسّاحات والأنهار...، وتأتي هذه الأمكنة أحيانا عدوانيّة طاردة موحشة، وأحيانا أخرى أليفة مستأنسة مملوءة بالألفة والقيم الجماليّة وذلك على حسب علاقة الشّخصية بها"[1].

**ب- المكان المغلق:** "الأماكن المغلقة لها حميميتها وخصوصيتها، فهي ذات صلة مباشرة بالشّخصية، لما تضيفه من ألفة وسكينة ورغبة في التّخلص من أعباء العالم الخارجيّ، فالأماكن المغلقة مرتبطة بالجانب الشّخصيّ من الإنسان، على نقيض الأماكن المفتوحة التّي تعدّ أماكن عبور وتفاعل بين النّاس، وملكيّة عامّة بينهم، بينما الأماكن المغلقة تحدّها جهات معيّنة وتتعلّق على أسرارها الخاصّة، فتشعر الشّخصية وهي بداخلها بالأمان كالبيوت، أو بالخوف كالسّجن"[2].

وفي الأخير المكان في الرّواية هو عنصر مهمّ ومتطوّر يتفاعل مع الأحداث والشّخصيات، فهو يمثّل الخلفية الّتي تتحرّك عليها الأحداث وتتفاعل معها الشّخصيات، ويؤثر عليها بدورها. ولذلك، يمكن اعتبار المكان في الرّواية كوعاء يحتوي على الأحداث والشّخصيات ويؤثّر ويتأثّر بها بشكلٍ متبادلٍ.

---

1 - منتهى طه الحراحشة، **أنماط المكان في الرواية، سيدات الحواس الخمس لجلال برجس**، قسم اللغة العربية وآداب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، م81، العدد 2، يناير 2021م، ص 230.

2 - المرجع السابق ، ص236.

# فصل أوّل

## تجلّيات المكان وأبعاده في الشّعر العربيّ المعاصر

1– تجلّي المكان وأبعاده في شعر نزار قبّاني

2- تجلّي المكان وأبعاده في شعر محمود درويش

3- تجلّي المكان وأبعاده في شعر بدر شاكر السّياب

4- تجلّي المكان وأبعاده في شعر مفدي زكرياء

5- تجلّي المكان وأبعاده في شعر عزّ الدين ميهوبي

## 1 - تجلّي المكان في الشّعر العربيّ المعاصر:

ارتبط الانسان بالمكان ارتباطا وثيقا ،فلا يمكن الفصل بينهما على الإطلاق على مستوى الإبداع الأدبيّ، سواء كان نثرًا أو شعرا، فشكّل حضور المكان في النّصوص الشّعرية تجربة رائدة تعود الى العصر الجاهليّ، فكان الحديث عن المكان في الشّعر العربيّ القديم حاضرا بقوة ،إذ شكّل ضغطا عاطفيا ووجدانيا على مخيلة الشّعراء القدامى، نتج عنه اكتساب المكان دلالة رمزية مشحونة بمعانٍ ذاتيةٍ تعبّر عن أحاسيس الحب والوفاء والولاء بوصفه جزءً من هويَّة القبيلة والأمَّة[1]، كان الشّاعر الفحل آنذاك لا يستغني عن ذكر المكان بوقوفه على الأطلال حيث تمتزج العواطف والذّكريات والشّخوص والأحداث، فالأطلال هي أماكن تحمل الكثير من القيم الّتي تتعلّق بحياة الإنسان في مختلف جوانبها، ولا يمكنها أن تكون مجرّدة، لأجل هذا كان للأطلال حضورها القويّ في القصيدة الجاهلية، ومن غيّبها في شعره اعتبر نقيصة تقلّل من فحولته الشّعرية.

ومع ظهور العصر العباسيّ، ظهر شعراء نقدوا هذا الالتزام، ودعوا إلى التّجديد، أبرزهم أبو نوّاس الّذي استبدل الوقوف على الأطلال بالخمرة، فطبيعة البيئة الجديدة الّتي عايشها الشّاعر من قصور ودور اللّهو كالخمارات في عصره كان لها أثرها على شعره فأصبح لا يرى بدا لذكر بقايا الدّيار، ولقد تناول النّقاد ومؤرّخو الأدب هذا الموضوع بإسهاب كبيرٍ....

أمّا المكان في الشّعر العربيّ الحديث والمعاصر، فقد استعاد مكانته وتمّ بعثه ثانية في النّصف الأول من القرن العشرين، على يد عدد من الشّعراء من أمثال علي محمود طه المهندس، وإبراهيم ناجي، وغيرهم وتعدّ قصيدة إبراهيم ناجي العودة، نموذجا لهذه الاستعادة، فهي تستحضر المكان كرمزٍ تجرى فيه ذكريات السّعادة، فيها قدسية روحيّة تقترب من الحسّ الصوفيّ، فأطلال إبراهيم ناجي تختلف عن الطّلل الجاهليّ[2].

فالطّلل في قصيدة العودة، يحمل مشاعر وقدسيّة المكان في نفسية الشّاعر، ويعكس حالته النّفسيّة والوجدانيّة، وقد استعان الشّاعر في قصائده بالتّراث الشّعريّ لدى العرب، وضمّنها

---

1- نجود هاشم الربيعي، **دلالة المكان في الشعر العربي الحديث** ،مجلة عود النّد، العدد الفصلي 6، 2017، ص 28.
2- المرجع نفسه، ص 29.

عنصري المكان والزّمان على حدّ سواء، وبث عواطفه الدّاخلية بأسلوب رومانسيٍّ، له خصائصه الحديثة لغة وأسلوبًا زاخرا بالصّور الفنيّة.

كما عرف المكان عند شعراء المدرسة الإحيائية كأحمد شوقي وحافظ ابراهيم مناسبة للاعتبار من حكم الزّمن وتقلّبات الدّهر، أما عند روّاد شعراء الشّعر الحرّ، فقد تعدّدت وامتزجت فيه أغراض ودلالات مختلفة، نفسيّة واجتماعيّة وسياسيّة وتاريخيّة ودينيّة ... تحاكي الواقع، وسنحاول من خلال دراستنا في هذا الفصل الوقوف عند أبرزها.

ومما سبق؛ فلقد امتاز الشّعر العربيّ منذ القدم بكونه شعرا مكانيا بامتياز، نتيجة ارتباطه الوثيق بالمكان كالأطلال والطّبيعة والصّحراء، الّتي استمد منها ذكرياته، ليصوّر لنا مختلف اللّوحات الفنيّة والصّور الشّعرية الّتي تعكس بيئته بامتياز، أما في الشّعر العربيّ الحديث، فقد شكّل المكان ظاهرة بارزة، عرفت أبعادا ودلالات مختلفة الجوانب، منها النّفسية السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصادية، فتنوّعت قيمه، وتنوّعت أيضا أنماطه وتوظيفاته في أشعارهم، (الأرض البحر، الصّحراء، البيت، المدينة) فظهر فحول الشّعر الحديث، الّذين اتّخذوا المكان مجالا واسعا في أشعارهم حمّلوه همومهم الشّخصية وهواجسهم النّفسية وهموم أوطانهم وأمّتهم، إنّ المكان الّذي يعيش فيه البشر، مكانٌ ثقافيّ، أي أنّ الإنسان يحوّل معطيات الواقع المحسوس، وينظّمها لا من خلال توظيفها الماديّ لسدّ حاجاته المعيشيّة فقط، بل من خلال إعطائها دلالة وقيمة. وتكتسب عناصر العالم المحسوس دلالاتها من خلال إدخالها في نظام اللّغة، فاللّغة هي العالم اللاّمحسوس لعالم المحسوسات، فاللّغة مخزون -كنز- مجرّد من العلامات ينوب عن عالم الواقع ويحلّ محله[1].

فجاءت مختلف الصّور الشّعرية ،مرآة عاكسة له بجدّية وبراعة ،حاملة في طيَاتها الكثير من الدّلالات، والقيم المميّزة، والّتي ساهمت في التّشكيل الجماليّ للنّصوص الشّعرية ،حيث تكاثفت فيه أمكنة متعدّدة وفضاءات مختلفة اكسبته تلك الأبعاد والدّلالات الجماليّة، ومن هذا المنظور تتجسّد معالم المكان ،باعتبارها من مكونّات النّص وعلاماته، واذا ما اعتبرنا الأمكنة بنية لها نماذجها وعناصرها الثّقافية المكوّنة لهويتها الجغرافية والثّقافية، فإنّها تحضر في النّص

---

1- **بوري لوتمان مشكلة المكان الفني** ، تر سيزا قاسم عيون المقالات، الدّار البيضاء، المغرب، ط2 ,1988ص64.

الأدبي، محمّلة تلك المضامين والأبعاد والّتي لا تتخلّى عن ارتباطها بالتاريخيّ والمقدّس والأسطوريّ والواقعيّ، ومن ثمّ فإنّ الشّاعر يواجه صياغة فكريّة لجماليات المكان، تتأسّى على استنطاق الأبعاد المعرفيّة في النّص، وإعادة استكشاف الماضي، محمّلا بالتّجارب الجديدة، وممزوجا بالعواطف التّاريخيّة والدّينية، الّتي لا تنفصل عن ذاكرة المكان وإحالاته المختلفة[1].

إنّ الشّعر العربيّ المعاصر، يستوقفه المكان بكل مفرداته وصوره ليشكّل ظاهرة بارزة فيه، إذ اتخذ أبعادا جديدة ارتبط الشّاعر من خلالها بعلاقات متعدّدة ومتباينة، فالإنسان كما نعلم مرتبط بالمكان منذ ولادته، فهو ابن بيئته حيث تتشكّل الحالة الشّعرية للشّاعر، وتتشكّل الصّور الفنيّة والجمالية، لتظهر بجلاء مختلف قيم وأبعاد المكان.

وقد اخترنا مجموعة من النماذج الشعرية لمجموعة من الشّعراء العرب المعاصرين الّذين استوقفهم المكان ووظّفوه لخدمة رسالاتهم وللتّعبير عن مكنوناتهم .

**1-تجلي المكان وأبعاده عند نزار قباني :** (1923_1998) هو شاعر ودبلوماسي سوريّ ولد بدمشق في 21مارس1923نشأفي بيت عريق ،عرف بلقب شاعر المرأة لدفاعه عنها والكتابة لها ،كما اشتغل دبلوماسيا بسفارة سوريا ، ترك ميراثا شعريّا ودواوين مختلفة عالج من خلالها قضايا المرأة والحب والوطن والأمة العربيّة وهمومها ،،،أشهرها قالت لي السمراء ،حبيبتي ،الرسم بالكلمات ،يوميات امرأة لا مبالية ،توفى سنة 1998م

إنّ تعلّق الشّاعر الكبير نزار قبانّي بمسقط رأسه دمشق جاء عنوانا لأكثر من عشرة دواوين، فكانت دمشق ملهمته الأولى حيث يقول في إحدى رسائله إلى أمّه والّتي تنزف حنينا وشوقا:

مضى عامان.. يا أمي
ووجه دمشق،
عصفورٌ يخربش في جوانحنا
يعض على ستائرنا..

---

1- جمال مجناح، **دلالات المكان في الشّعر الفلسطينيّ المعاصر بعد 1970**، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة ،الجزائر، 2007-2008، ص319.

وينقرنا..

برفقٍ من أصابعنا..

مضى عامان يا أمي

وليل دمشق

فل دمشق

دور دمشق

تسكن في خواطرنا

مآذنها.. تضيء على مراكبنا

كأن مآذن الأموي..

قد زرعت بداخلنا..

كأن مشاتل التفاح..

تعبق في ضمائرنا

كأن الضوء، والأحجار

جاءت كلها معنا..

أتى أيلول يا أماه..

وجاء الحزن يحمل لي هداياه

ويترك عند نافذتي

مدامعه وشكواه[1]

لقد حاول الشّاعر أن يلخّص مأساته لابتعاده عن دمشق مبرزا حنينه الجارف لها في أجمل صوره إذ عبّر عن مشاعره بعد مضي عامين من هجرته الّتي أبعدته عن أهله ووطنه ذاكرا الرّموز الدّمشقية الّتي تؤثّر فيه وتؤلمه فهي أسرار تذكّره بها كلياليها وفلّها وبيوتها ومآذنها.... الّتي توطّد علاقته بموطنه رغم غربته فهي حاضرة في نفسه ولم يستطع أن ينساها أبدا، بل أثر الاغتراب وحنينه لها لا تفارقه فقد غيّم الحزن والأسى وملأ جوارحه.

---

1- نزار قباني، **الأعمال الشّعرية الكاملة**، منشورات نزار قباني، طبعة، بيروت. ج 3 ، ص 161-162 .

وقد حملت بعض قصائده الاخرى صورا تبرز علاقته النّفسيّة والرّوحية الكبيرة بدمشق حيث يقول :

ألاحظت

كم تشبهين دمشق الجميلة

وكم تشبهين المآذن ..

والجامع الأموي ..

وخاتم أمي.

وساحة مدرستي.

وجنون الطّفولة[1]

فالمكان بالنسبة للشّاعر يعد ملاذا لنقل شعوره وهمومه وآلامه وفرحه لتتولّد تلك العلاقة بين ذاته والمكان تؤدّي إلى إبداع شعريّ مكانيّ، "تربط المكان والجانب النّفسيّ علاقة وثيقة لما ينجرّ عنه من قيم فنّية وجماليّة مختلفة باختلاف القراءات والتأويلات الّتي تختلف من ناقد لآخر، خاصّة إذا ألغيت المناهج السّياقية الّتي تلغي بعض المفاتيح للولوج لعالم الحقيقة والإدراك ، فالشّاعر يملك موهبة التّلاعب باللّغة وهو ما يعطي الحقّ للقارئ في بثّ شخصيته وتقمّص دور الشّاعر النّاظم لها ، إلاّ أنّ أغلب النّقاد يركزّون على تأويلهم لمختلف القصائد الشّعرية بردّها إلى الجانب النّفسيّ الّذي يسهّل عملية فكّ الشّفرات[2].

ولذلك فقد صوّر الشّاعر تلك العلاقة الرّوحيّة والنّفسيّة بمدينته وشبّهها بحبيبته ورأى ذروة جمالها أن تضاهي جمال دمشق ليبين مدى ارتباطه العميق بها هذا البعد النّفسيّ تكرّر بوضوح في قصيدته "أنا يا صديقة متعب بعروبتي" حيث يقول:

قمر دمشقي يسافر في دمي

وبلابل وسنابل وقباب

الفلّ يبدأ من دمشقَ بياضه

---

1- نزار قباني، **الأعمال السّياسية الكاملة**، ج3، ط3، منشورات نزار قباني، لبنان، بيروت، 1983، ص460.

2- طيب حمايد، **شعرية المكان في الشّعر العربيّ المعاصر قراءة في شعر محمود درويش وسميح القاسم**، رسالة لنيل شهادة الدّكتوراه في الأدب العربيّ، نظام ل.م.د، السّنة الجامعيّة 2017-2018، ص68.

وبعطّرها تتطيَّب الأطياب

والماء يبدأ من دمشقَ فحيثما

أسندت رأسك جدولٌ ينساب

والحبُ يبدأ من دمشقَ فأهلنا

عبدُوا الجمال وذوبُّوه وذابُوا

والخيلُ تبدأ من دمشقَ مسارَها

وتشدُّ للفتح الكبير ركاب

ودمشقُ تعطي للعروبة شكلَها

وبأرضها تتشكَّل الأحقاب[1].

فمن خلال هذه المقطوعة تظهر جزئيَّاتُ المكان لدمشقَ في صور متعدّدة، البلابل والسَّنابل، القباب، الفلُّ، الماءُ...كونها مهد الجمال فليس لها مثيلٌ، كما أنَّ الخيلَ والفتحَ يرمزان للقوَّة والبسالة في الحروب دفاعًا عن الحقوق فهي مهد العروبة وانتماءُ الشّاعر لها يعزّزُ نفسيته ويقوّيها.

وإنْ كانت دمشقُ أمَّه فبيروتُ معشوقتُه الّتي سمّاها ستّ الدّنيا... فهي ملهمته الّتي أعطته حريَّة التَّعبير دون تضييق الخناق أو القمع ..إذ يقول في إحدى قصائده:

آه يا عشاق بيروت القدامى

هل وجدتم بعد بيروت البديلا

إنَّ بيروت هي الأنثى الّتي

تمنح الخصبَ وتعطينا الفصولَا

إن تمُتْ لبنان.. يَمتْ معه

كلُّ من يقتله ...كان قتيلَا

كُلُّ قبح فيه...قبحٌ فيكُم

---

1- نزار قباني، **الأعمال السّياسية الكاملة**، ج6، ط2، بيروت، لبنان، منشورات نزار قباني. 154 .

فأعيدوه.. كما كان جميلا[1].

كما عايش الشّاعر محنة لبنان الكبرى وتلك الحروب الأهليَّة فكتب يرثي آلامَها وأحزانَها وما صاحبَها من شتات ودمار ودماء، ويزداد الصّراع النّفسيُّ أكثر حاملا لوعة الفراق وألم مصابه الجلل عندما فقد زوجته بلقيس في حادثة تفجير السّفارة العراقيّة في بيروت سنة 1982، لتصبح رمزا للضّياع والمخاطر فيتكون في نفسه ذلك الصّراع بين نقمته عليها و التّعاطف معها فيقول:

وبيروتُ الّتي قَتَلَتْكَ لا تدري جريمتها

وبيروتُ الّتي عَشقَتْكَ تجهلُ أنَّها قَتَلَتْ عشيقَتَها[2].

بيروتُ تقتل كلَّ يوم واحدًا منَّا

وتبحثُ كلَّ يوم عن ضحيَّة

قَتَلُوك في بيروتَ مثلَ أي غزالَة[3].

فكانت بيروتُ مكانا يجمع بين التّمازُج النَّفسيّ السَّلبيّ تارةً والتَّفاعُل الإيجابيّ تارةً أخرى ،بحسب نفسيته الّتي يعيشها كلَّ لحظة.

لقد حملت أشعار نزار قبَّاني الكثير من المعاني النّفسية والعاطفيّة الّتي تجمع بين الفرح والسّرور والحزن والأسى، ولا نستطيع أن نتناسى تعلّقه الكبير بالقدس الشّريف فهي مدينة الأنبياء ومنارة الشّرائع ومعاناتها من ظلم وجرائم بني صهيونَ فهي تعصرُ قلبه حزنًا وأسى حيثُ يقولُ :

يا قدسُ، يا مدينةً تفوح أنبياءً

يا قصرَ الدُّروب بين الأرض والسّماء

يا قدسُ ..يا منارةَ الشّرائع

---

1- نزار قباني، **الأعمال الشّعرية الكاملة**، منشورات نزار قباني 2002. ص 156 .
2- نزار قباني، **الأعمال الشّعرية الكاملة**، منشورات نزار قباني، ج6، سنة 1999، ص36.
3- المرجع نفسه، ص26.

يا طفلةً جميلةً محروقةَ الأصابع

حزينة عيناك يا مدينةَ البتول

يا واحةً ظليلة مرَّ بها الرّسول

حزينةٌ حجارةُ الشّوارع

حزينةٌ مآذنُ الجوامع

يا قدسُ. يا مدينةً تلتَف بالسَّواد[1].

ويقولُ أيضًا

يا قدسُ يا مدينة الأحزان

يا دمعةً كبيرةً تجولُ في الأجْفَان

من يُوقفُ العُدوانَ؟

علَيك يا لؤْلؤَة الأدْيان

مَنْ يُنقذُ الإنْجيلَ؟

مَنْ يُنقذُ القُرآنَ؟

مَنْ يُنقذُ المسيحَ ممَّنْ قتلُوا المسيحَ؟

مَنْ يُنْقذُ الإنسانَ ؟[2].

فيظهرُ مدى تعلّق الشَّاعر نفسيًّا بالقُدس كونَها تحملُ في قلبه لوعة المتذمّر قهرا لحالها فالمكانُ يزخرُ بالدَّلالات والصّفات الإنسانيَّة الَّتي تحمل في طيَّاتها ألم الظُّلم والاستبداد والقهر والحزن والأسى.

كما أبدع الشّاعر نزار قباني في تصوير حالة العرب ومعاناتهم فأنشد يقول :

أنا يا صديقةُ متعب بعروبتي

---

1 نزار قباني، **الأعمال الشّعرية الكاملة**، ج3، ص161-162.
2 المرجع السابق ، ص163.

فهل العروبة لعنةٌ وعقابُ؟

إنـّي على ورق الخريطة خائفٌ

فعلى الخريطة كلّنا أغراب

أتكلّم الفُصحى أمام عشيرتي

وأعيد.. لكن ماهناك جوابُ

لولا العباءات الّتي التفوا بها

ماكنتُ أحسبُ أنـّهم أعرابُ[1].

فيظهر تدمّره الشّديد من حال العرب وما آلوا إليه من ضعف وهوان.....

لقد شغل الوطن الشّاعر نزار قبّاني، حيث تركت الأحداث السّياسيّة الّتي مرَّت بها سوريا والأقطار العربيَّة أثرها الكبير فأصبح الوطن هاجسَه الأول فتشبَّع بالوطنيَّة والقوميَّة العربيَّة رافضًا كلَّ أشكال الذُّل والقهر.

لا....

ليس هذا وطني الكبير

لا....

ليس هذا الوطن المربَّع الخانات كالشَّطرنج

والقابع مثل نـملة في أسفل الخريطة

هو الَّذي قال لنا مُدرّس التَّاريخ في شبابنا

بأنـّه موطننا الكبير[2].

لقد أصبح الوطن كما يراه نزار مقسَّما ومفكَّكا كلعبة الشَّطرنج ،فأصيب بالإحباط وما زاده حزنـًا فقدانُ هذه البلدان للحريَّة وتعرُّض شعوبها للقمع والاستبداد حيثُ يقول:

أحاول منذ الطُّفولة

---

1- نزار قبّاني، **الأعمال السّياسية الكاملة**، ص641.
2- المرجع السابق ، ص51.

أن اتصوَّر شكل الوطن

رسمتُ بيوتًا

رسمتُ سقوفًا

رسمتُ وجوهًا

رسمتُ وُجوهًا مطلية بالذَّهب

رسمتُ شوارعها مهجورة

رسمتُ بلادا تُسمَّى مجازا

بلادُ العُرب[1].

فجاءت صورةُ الوطن تحملُ الكثير من الضَّبابية فهو الوحدة في العالم العربيّ وفقدانها يعني اللاَّحريَّة، بل إنَّه يصبح بسياسة القمع والاستبداد سجنا ومشنقة ومنفى حيثُ يقول:

ارسم الوطنَ على شكل سجن

ارسم الوطنَ على شكل مشنقة

اذا كان الوطن منفيًا مثلي[2].

كما عانى الشَّاعر من الانسداد السّياسيّ السَّائد في الوطن العربيّ ،واتَّخذ صورًا خياليَّةً للمكان وحمَّلها الكثير من الدّلالات فسمَّى الأرض الَّتي تعاني القهر والقمع والاستبداد بقمعستان، في تعبير صريح عن غضبه ورفضه لكلّ مظاهر الظُّلم والعدوان حيثُ يقول:

هل تعرفون من أنا

مواطنٌ يسكنُ في دولة قمعستان

مواطنٌ

يحلم في يوم من الأيام أن يصبح في مرتبة الحيوان

مواطنٌ يخاف أن يجلس في المقهى

---

1- المرجع نفسه ص343.
2- نزار قباني ، **الأعمال السياسية الكاملة** ، ص124.

مواطنٌ أنا من. شعب قمعستان

أخاف أن أدخل أيَّ مسجد

كي لا يقال إنـّي رجلٌ يمارسُ الإيمان

كي لا يقول المخبرُ السّريُّ

إنـّي كنت أتلو سورة الرّحمن[1].

أمّا شعر المنفى فكان حاضرًا في قصيدته بعنوان كتابات على جدران المنفى.

لقد أخبرنا عن الرّحيل لأنـّه حُرم من أبسط الأشياء حُرم من الأحلام والعشق والضّحك ... فأصبح الوطن منفى كبيرًا للشّاعر أجبره على الغربة والتّشرّد ...حتَّى وإن كانت في أجمل الأقطار كإنجلترا وسويسرا وفرنسا ..

لكن رغم هذا بقي شعور الشّاعر بالانتماء للوطن والأرض الّتي نشأ فيها وترعرع حيثُ يقول :

فنحن باقون هنا

في هذه الارض الّتي تلبس في معصمها

إسوارة من زهر

فهذه بلادنا

فيها وجدنا من فجر العمر

فيها لعبنا وعشقنا

وكتبنا الشّعر[2].

فيظهر مدى ارتباطه بالوطن الّذي يعني له الكثير ففيه ذكريات الطّفولة وماضيها المزهر وفيه تجربة العشق والكتابة.

لقد ارتبط البعدُ الوطنيُّ والقوميُّ بالنُّصوص الشّعرية، فأسالت قضايا الأمَّة العربيَّة حبرهم ،وحاولُوا تصوير ما عاشته من احتلال وظلم كما عَكَس حالة العرب ومعاناتهم.

---

1- المرجع السابق، ص 33.
2- الأعمال السياسية، مرجع ذكره، ص 167.

حيثً يقول:

أنا يا صديقة متعبٌ بعروبتي

فهل العروبة لعنةٌ وعقابُ

أمسى على ورق الخريطة خائفا

فعلى الخريطة كلُّنا أغراب

أتكلَّم الفُصحى أمام عشيرتي

وأعيد ...لكن ماهناك جوابُ

لولا العباءات الَّتي التفوا بها

ماكنت أحسبُ أنّهم أعرابُ [1].

فيظهر بجلاء تدمرّه الشّديد من حال العرب وما له من ضعف وهوان وجبن.

كما تجلّى انتماء الشّاعر للوحدة والقوميّة العربيّة ،فكانت فلسطين حاضرة بقوة في أشعاره ،بذكره لبيت المقدس وغزّة ودعا إلى الجهاد والنّضال فأنشد قائلا:

يا أيُّها الثُّوار

في القدس والخليل

في بيسان والأغوار

في بيت لحم حيثُ كنتم أيُّها الأحرار

تقدَّموا

تقدَّموا

فقصَّة السَّلام مسرحيةٌ

والعدلُ مسرحيةٌ

---

1- الأعمال السياسية الكاملة، مرجع سبق ذكره، ص641.

إلى فلسطينَ طريقٌ واحدٌ

يمرُّ من فوهة بندقيَّة

كما في قصيدته الشَّهيرة الدّيك ، والّتي تحملُ الكثير من الرُّموز والمعاني، فقد أبدع في إبراز القيم الجماليَّة والفكريـَّة ، فبطل قصيدته الدّيك في حارته يحمل صفات وخصال عدوانية تعكس مأساة ورداءة الواقع كالاستيلاء على السُّلطة والظُّلم والدكتاتورية المهيمنة على الشُّعوب العربية حيثُ شكَّل المكان" الحارة " البلدة، السُّوق، القرية، قيمة شعريـَّة للمكان أعطته بعدا دلاليًّا وقيما إنسانية واجتماعيَّة وسياسيَّة حيثُ يقول:

في حارتنا ديك سَاديٌّ سفَّاحٌ

ينتف ريشَ دجاج الحارة كُلَّ صباح

يُنقرهنَّ ،يُطاردهنَّ بُضاجعهنَّ

ولايتذكَّرُ أسماءَ الصّيصان[1].

لقد حاول نزار قبّاني أن يبرز صورة المكان "الحارة" ،فهي فضاء عديم الملامح يحمل التَّصوُّر والخيال بين ما هو إنسانيّ أو حيوانيّ ،فالدّيك شخصيَّة مريضة (ساديّ، سفَّاح) ،يسبّب الألـَم للآخرين (ينتفُ، ينقرُ، يطاردُ...) فهو يعيش على آلام الآخرين لينشر الرُّعب والخوف... حاملاً ملامحَ الحكومة المتوحّشة حيثُ يقول:

في حارتنا ديكٌ يصرخُ عندَ الفجر

كشمشونَ الجبار

يطلقُ لحيتهُ الحمراءَ ويقمعُها ليلا ونهار

يخطبُ فينا ينشدُ فينا يسري فينا

فهو الخالدُ وهو القادرُ الجبار [2].

حيث أبدع الشَّاعر في كشف بشاعة الحُكَّام وتعريتهم وفضح سُلُوكاتهم الـمُشينة.

---

1- نزار قباني، **الأعمال السّياسية الكاملة**، ص 529.
2- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

أمّا في قصيدة الشّاعر نزار قباني أحزان أندلسيَّة نلمح عند نزار قباني استحضارا للمكان التّاريخي الدّيني يستذكرُ فيها الشَّاعرُ الزَّمنَ الجميلَ والذَّهبيَّ للأمَّة الإسلاميَّة حينَ كانت في عُنفُوانِ تقدُّمِها وازدهارِها وقوَّتها، لا لشيءٍ إلَّا لينفِّس عن حاضرِ الأمَّة اللَّعين والمريرِ وما أصابها من خُذلانٍ وانكسارٍ حيث أنشدَ يقول:

كتبتِ لي ... يا غالية

كتبتِ تسألين عن إسبانية

عن طارقٍ

يفتحُ باسمِ الله ... دنيا ثانية

عن عقبةِ بن نافعَ

يزرعُ شتلَ نخلةٍ

في قلبِ كلِّ رابية ..

سألتِ عن أميَّة

سألتِ عن أميرها معاوية

عن السَّرايا الزَّاهية

حضارةٌ ..

وعافية[1].

لقد استحضر الشَّاعر إسبانيا بتاريخها المجيد وماتضمَّنته من أحداث ضاربة في عُمق التَّاريخ وما عرفته من فاتحين وشخصيَّات بارزة ، بأسلوب ولغة مميَّزة عبَّر فيها عن ما يخالج كُّل عربيٍّ ومسلم غيورٍ على ماضي أجداده ومتحسِّر وحزينٍ على واقعها الحاليِّ .

ويقول:

لم يبقَ من قرطبةَ

1 نزار قبَّاني، **الأعمال السّياسيّة الكاملة**، ص561-563.

سوى دموع المئذنات الباكية

لم يبقَ من غرناطةَ

ومن بني الأحمرِ

إلا ما تقولُ الرّاوية[1].

فإسبانيا لم يعد لها وجودٌ وبقي ألمٌ وحزنٌ بالغٌ فالمكان الدِّينيُّ والتَّاريخيُّ قد اندثر بسبب ضعفِها وهوانِها نتيجة الفُرقة...ولم يبق إلَّا الشِّعارات الزَّائفة حيثُ يقول:

ولاتزالُ لفظةُ العروبة

كزهرةٍ حزينةٍ في آنية

كطفلةٍ جائعةٍ وعاريةٍ

لصَلْبها

على جدارِ الحقدِ والكراهية

مضت قرونٌ خمسةٌ يا غالية

كأنَّنا نخرجُ هذا اليومَ من إسبانية[2].

فالتَّاريخ يؤَرخُ الأحداثَ ويذْكرُ ما يميِّز كلَّ حقبةٍ زمنيَّةٍ ليذكِّر بالهزيمةِ وحالنا المريرِ، ليستلهم النَّفوس الأبية حتى لا ننسى أو نتناسى تاريخنا المجيد ونسعى لاسترداده من جديد ، كما نجد قصائد كربلاءَ حاضرة في مــتن الشَّاعر ومحنة أهل البيت خاصَّة الإمام الحسين حاضرةً فكربلاءُ مكانٌ شاهدٌ على جريمة نكراءَ ،تحملُ دلالةً تاريخيةً للتَّضحية والفداء وهي صورة عاكسة لحياة الشُّعوب العربيَّة في فلسطينَ وكلِّ الأقطار العربيَّة حيثُ يقول:

لأيِّ سماء نمدُّ يدينا؟

ولا أحد في شوارع لندن يبكي علينا

يهاجمُنا الموتُ من كلِّ صوبٍ

---

1- المرجع نفسه ، ص561-563.
2- المرجع السابق، ص565.

ويقطعنا مثل تفاحتين

فاذكر حين أراك عليًّا

وتذكرين حين تراني الحسينَ

**2-تجلي المكان وأبعاده في شعر محمود درويش :**

(1941_2008) هو شاعر فلسطينيّ عرف بشعره الثّوري والوطنيّ ،حملت قصائده القضيّة الفلسطينيّة ومقاومتها حتى لقّب بشاعر الجرح الفلسطينيّ ،ترأس العديد من المجلات كالفجر،،،توفيّ عام 2008بعد إجرائه لعملية قلب مفتوح مما أدى إلى دخوله في غيبوبة أدت إلى وفاته تاركا ميراثا أدبيا من دواوين وأشعار منها ،،أثر الفراشة ،أوراق الزّيتون ،أرى ماأريد ،أحد عشر كوكبا،،،،.

لقد ارتبط الشَّاعر محمود درويش كغيره من الشُّعراء بالوطن وتعلَّقَ به أيَّما تعلُّق، فنجده يستحضره في الكثير من قصائده فينقلُ لنا حرارة أشواقه وحنينه ويُبرز قوَّة صلته والتصاقه بكلّ ركن وجزء منه فَتَكْبرُ أحلامه معه رغم غربته والابتعاد عنه، فهو كاملٌ في أعماقه يحبُّه ويعشقه ولا يمكن أن ينساه أو يتجاهله إذ يقول في إحدى قصائده

يَكْبرُ

الصَّفصافُ والأوصافُ، يَكْبرُ عُشْبُهَا

وجبَالُها الزَّرقاءُ، تتَّسعُ البُحيرةُ في

شمال الرُّوح، ترتفع السَّنابل في جنوب

الرُّوح، تلمع حبَّة الزَّيتون قنديلا

على ليل المهاجر، تسطع الجغرافيا

كتبا مقدَّسة، وسلسلة التّلال

تصير معراجا إلى الأعلى .... إلى الأعلى[1].

فيبرز لنا محمود درويش مدى تعلّقه بكلّ جزء من وطنه الحبيب، الجبال، العشب، الزَّيتون، السَّنابل...هذه المعالم الّتي يراها قناديلٌ تضيئ ليله المظلم في غربته ومهجره لتسطع بكتب مقدَّسة تعلو بها إلى الأعلى ،،،فجاءت أحاسيسه جيَّاشة تعجُّ بمشاعر الحبّ والوفاء للوطن رغم ألم الغربة والابتعاد.... فالوطن في القلب والأعماق فحبُّه مكنونٌ وبدون حدود.... هذا الوطن الغالي الّذي يراه في الكثير من أشعاره بلا حدود فهو كالمجهول إذ يقول:

ولنا بلادٌ لا حدود لها كفكرتنا

عن المجهول، ضيّقةٌ وواسعةٌ . بلادٌ...

حين نمشي في خريطتها تضيق بنا ،

وتأخذنا في نفق رمادي، فنصرخ

في متاهتها: ولا زلنا نُحبُّك، حُبُّنا

مرضٌ وراثيٌّ. بلادٌ حينَ

تنبذنا إلى المجهول ..... تكبرُ. تكبرٌ

فالوطن واسع بآماله وآفاقه وتطلُّعاته للمستقبل الزَّاهر رُغم كُلّ ما يعانيه في واقعه من قهر وظلم واحتلال وجبروت، وحبُّه الأزليُّ لوطنه وبلاده من يعطيه الأمل فتراه يصرخ بكلّ وجدانه معلنا تعلُّقه به رغم المحن فهو حبٌّ موروثٌ عن الأسلاف والآباء حبٌّ لا إراديٌّ يكبرُ ويكبرُ ولا يمكن في أيّ حال أن يَضْمُرَ وقد صوَّر الشَّاعر تعلُّقه الكبير بالوطن في الكثير من أشعاره منها قصيدته الأرض حيث أبدع في تصوير تلك العلاقة القُدُسيَّة الرائعة فيقول:

أنا الأرضُ

والأرضُ أَنتَ

خديجةُ لا تُغلقي الباب

---

1- محمود درويش، **الأعمال الكاملة**، إعداد علي مولا، منتدى مكتبة الإسكندرية، مصر، ص465.

لا تدخلي في الغياب

سنطردهم من إناء الزُّهور وحبل الغسيل

سنطردُّهم من هواء الجليل [1].

فالوطن في مفهوم درويش هو "الشّعر، ثمَّ أصبح مفهومًا يتَّسم بدعوة للالتحام الكلّي بين الإنسان وبين الأرض، بين قضايا الإنسان وبين الارض، وبأن الأرض يعني اكتشاف الإنسان لذاته وهو يقودنا من ثمَّ إلى الإنسان كقيمة في الأرض"[2].

فالوطن أو الأرض هي الإنسان وخديجةُ الرمَّزُ تمثّل هذا الارتباطَ العميقَ والوثيقَ، فهي سرُّ البقاء فيطلبُ منها أن لا تغيبَ وتتجلَّد بالصُّمود حتَّى يخرج المحتلُّ من أرضهم ولن يكون له وجودٌ حتَّى في هوائها فيُبرزُ لنا الوفاء والتَّضحية في سبيل الأرض والوطن، وكانت لقصائد محمود درويش أثرها البالغ سياسيًّا وقوميًّا فقصيدته بطاقةُ هوية تُعَدُّ معلمًا ثقافيًّا بارزًا ساهم في النّضال السّياسيّ في وقت كان الكيان الصُّهيونيُّ يشحذ كُلَّ طاقاته لطمسِ الهُويـَّةِ الفلسطِينيَّة وتـَهْوِيدِ المكان الفِلَسطِينيِّ حيثُ يقول:

سَجِّلْ

أنا عَربيٌّ ورقمُ بِطاقتي خمْسُونَ ألفٍ

وأطفالي ثمانيةٌ

وتاسِعُهم سباتي بعدَ الصَّيفِ

فهلْ تغضَبْ؟

سَجِلْ

أنا عربيٌّ سَلَبْتَ كُرُومَ أجدادِي

وأرضًا كُنتُ أفْلحُها

أنا وجميعُ أولادِي

---

1- المرجع السابق ، ص285.

2- لؤي شهاب محمود، **مفهوم الأرض في التُّراث الفلسطينيّ المعاصر الشّعر نموذجا**، مجلة الأستاذ، جامعة بغداد العدد1، ج01، 2014، ص3.

ولمْ تَتركْ لنا، ولكلِّ أحفادِي

سوى هذي الصُّخورُ

فهل ستأخذُها.

حكومتكُم كما قيلَ[1].

لقد عبَّر درويشُ عن هاجس الهُويّة ، واحتجَّ على ذلك التَّهميش المضروبِ على هُويَّة الفلسطينيّ، أو كما أطلق عليها درويشُ اسم اللاَّجئ في وطنه فالقضيَّة الأُمُّ حاضرةٌ... فرُغمَ الانفصالِ عنِ الوطنِ، إلاَّ أنَّ ذلك عزَّز حُضورَهُ الرُّوحِيَّ في ذهنهِ وزادَ من شرارةِ الشَّوقِ والحنين إليه فلا السّجنُ ولا المنفى استطاعَ أن يزيل حُبَّهُ وعِشْقَهُ للوطن لقد صوَّرهُ بدون حدودٍ فهُو كفكرته عن المجهول حيثُ يقول عن تجربته في السّجن :

تغييرُ عنوانِ بيتِي

وموعدُ أكلِي

ولونُ ثيابِي، وجهِي وشكلِي

وحتَّى القمرُ

عزيزٌ عليَّ هُنا

صار أحْلَى وأكْبَر[2].

فالسِّجن عَمَّقَ تأمُّلاته وأفكارَه فالإنسانُ لا يُدرك قيمة الحياة إلا إذا أصيب فيها فكانت هذه التَّجربة ذات قيمةٍ جماليةٍ وإبداعيةٍ عَكَسَت البُعْدَ السِّياسيّ للقضيَّة الفلسطينيَّة ومدى التّعلُّق الكبيرِ بالوطن...

كما قدّم درويش الوطنَ على أنَّه بلا حدودٍ فهُو كفِكْرتِه عنِ المجهولِ وقد أخذ أبعادًا ومسمَّياتٍ ورموزًا متعدِّدة فجاء مجسَّدًا في البحر في قصيدته رسالة من المنفى حيثُ يقول:

أمَّاه يا أمَّاه

---

1- محمود درويش، **ديوان أوراق الزيتون**، 1964، مكتبة الكتب والموسوعات.
2- المرجع السابق ، ص175.

لمن كتبتُ هذه الأوراق

أيُّ بريدٍ ذاهبٍ يَحْمِلُها

سُدَّت طريقُ البرِّ والبحارِ والآفاق[1].

لقد عانى الشَّاعرُ من ويلاتِ فِراقِ الأهلِ والأحبةِ نظرًا لسياسة النفيِ الإقصائيَّةِ ، وما يحمله من أبعاد سياسيَّة لكن رُغم ذلك فهو يقاومُ ليجعلَ من هذا البحرِ رمزًا للحياةِ والوطنِ والمقاومةِ حيثُ يقول:

فلتكن هذي المدينةُ

أمُّ هذا البحرِ أو صرختُه الأولى

علينا أن نُغنِّي لانكسارِ البحرِ فينا

أو لِقَتْلِنا على مرأى من البحرِ

وأنْ نرتديَ المِلحَ وأنْ نمضي إلى كُلِّ الموانئِ

قبل أن يمتصَّنا النِّسْيان[2].

فالبحرُ حاضرٌ في شعرِ درويشَ محمّلاً بأجملِ الصّورِ فقدْ صوَّرهُ إنسانا يُشاطرهُ الانكسارَ وشاهدٌ على جرائم العدوّ ،كما استطاع درويشُ أن يُجسِّد حُبَّه الكبيرَ لوطنهِ من خلالِ قصيدتِه "الرَّمل" الَّذي يرمزُ للصّحراءِ، والّتي تَحمِلُ الكثيرَ من الدَّلالات الإيجابيَّة والسَّلبية في آن واحدٍ حيثُ يقول:

البدايات أنا

والنِّهايات أنا

والرَّملُ شكلٌ واحتمال

الرّملُ هو الرّملُ

ضاعت فكرتي وامرأتي ضاعت

---

1- المرجع نفسه ، ص47.
2- محمود درويش ، الأعمال الأولى، ص 457.

وضاع الرمَّلُ في الرَّملِ [1].

لقد أخدت الصّحراء أبعادا نفسيّة وفلسفيّة في شعر محمود درويش فهي ترمز للغربة والمنفى بعطشها وجفافها وجُوعها وخوفها وضياعها وهي أيضا توحي بالعادات والقيم السّامية والايجابية كالشّجاعة والكرم والوفاء والّتي تنسب للصّحراء.

كما استحضر درويش في الكثير من قصائدهِ شخصياتٍ وأمكنةٍ تاريخيَّةٍ ليعبِّر عن ذاته وما تُعانيه الأمَّة فقصيدته رحلة المتنبي إلى مصرَ حملت الكثير من الأبعاد والدَّلالات حيثُ يقول:

للنيّلِ عادات

وإنـّي راحلٌ

أمشي سريعا في بلادٍ تسرقُ الأسماء منِّي

قد جئت من حلبٍ ،وإنـّي لا أعود إلى العراق

سقط الشَّمال فلا ألاقي

غير هذا الدّرب يسحبُني إلى نفسي ...

ومصر كم اندفعت إلى الصّهيل

فلم أجد فرسا وفرسانا[2].

فيظهر من هذه القصيدة ارتباط الشَّاعر بالأمكنة ، حلب ،مصر ،العراق ،وهي مدنٌ تاريخيَّةٌ بامتيازٍ كانت رمزاً للحضارة الإسلاميَّة وهو يعاني من هذا هوانَها وضَعْفَها لتفقد مجدها الزَّاهر ورحلة المتنبي إلى مصر في الحقيقة هي رحلته الَّتي أسقطها على نفسه فهو مفجوع فيها...

لقد كان الموروث التَّاريخيّ والدّيني مصدرَ إلهامه الشّعريّ واستطاع درويشُ الاقتباسَ من القرآن الكريمِ والسُّنة النّبويّة الشّريفة كقصيدة الأرض الّتي يقول فيها:

---

1- المرجع نفسه، ص427.
2- محمود درويش، **الأعمال الأولى**، رياض الريس للكتب والنّشر، بيروت، ط1، حزيران يونيو 2005، ص421.

ألو

أريد محمّدَ العُربِ

نعم !من أنتَ !

سجنٌ في بلادي

بلا أرضٍ

بلا علمٍ

بلا بيتٍ

وجاءوا يشترون النَّار من صوتي

لأخرج من ظلام السِّجن

ما فعل!

وجد السِّجن والسَّجان[1].

كما يبرز البعد الدّينيُّ والتَّاريخيُّ في قصيدة البئر، أين تمَّ إلقاء يوسفَ عليه السَّلام والَّذي يرمزُ فيه المكان لواقع النَّكسة والانكسار...كما نجدُ حادثة الاسراء والمعراج في شعره حاضرةً تحمل دلالةً عظيمةً يريد الشّاعر من سردها في أشعاره أن يحوِّل الحُلمَ الضَّائع إلى حقيقةٍ وهو استرجاع بيت المقدس...كما كان تاريخ الفتوحات الإسلاميَّة حاضرًا في قصائده مع أبرز الشَّخصيات كشخصية خالد بن الوليد وصلاح الدِّين الأيوبي ومدنهم التَّاريخيَّة كالقدس وبابل... للتَّعبير عن الحلم الضَّائع والتَّاريخ المجيد للمسلمين قصد شحن الهمم.

1- محمود درويش، **ديوان عاشق من فلسطين**، ط1، ص151.

### 3-تجلّي المكان في شعر بدر شاكر السّياب :

(1926_1964) هو شاعر عراقيّ ولد بقرية جيكور في محافظة البصرة يعتبرّ من أهمّ مؤسّسي الشّعر الحرّ باللّغة العامّية ،ثمّ طوّرها إلى اللّغة العربيّة الفصحى من أشهر دواوينه أنشودة المطر ،أزهار ذابلة ،حفّار القبور، المومس العمياء، الأسلحة والأطفال، أساطير توفي سنة 1964 .

وظّف بدر شاكر السَّياب المكان في العديد من نصوصه الشّعرية بذكره لمسقط رأسه جيكور في قصائد حملت زمرة من الأسماء والرُّموز منها جيكور والمدينة ،العودة لجيكور، جيكور أمي، فجيكور تمثّل مدينة الصّبا والطّفولة وتحمل الذّكريات والأحلام فهي ملهمته بل إنّه يراها نفسُه فحولهَّا إلى رمز شعريّ تحمل روحَه وجسدَه حيثُ يقول:

جيكورُ، جيكورُ يا حقلاً منَ النُّور

يا جدولًا من فراشات يطاردُها

في اللَّيل في عالم الأحلام والقمر

جيكورُ لـُمّي عظامي وانفُضي كَفَني

من طينه واغسلي بالجَدْول الجاري

قلبي الَّذي كان شبَّاكا على النار

لولاكَ يا وطني

لولاكَ يا جنَّتي الخضراءُ يا داري

لم تلق أوتاري

ريحًا فتنقل آهاتي وأشعاري[1].

---

1- بدر شاكر، **السّياب ديوان دار العودة**، ط1، بيروت، سنة1971، ص189.

فكانت جيكور بمثابة الدّواء الّذي يداوي جراحه وآلامه واغترابه وانكساره فتحوّل المكان الجُغرافيُّ المحسوسُ إلى مكان ينبُضُ بالحياة ويعجُّ بالذّكريات المختلفة.

فكانت قريتهُ ملجأَه للهروب من واقع المدينة ،كونها مكانا يريح نفسيتّه بجمالها الطّبيعيّ ،"جاء ذكر المكان في وصف مُدن عراقية ثمَّ ظهرت أغراض أخرى كانت حصيلة تجَارب الشّاعر، حيث برزت نخبةٌ من الشُّعراء أعطت نفسًا جديدًا وحركيَّةً شعريَّة حدّدته، كما استطاع الشّاعرُ بدر شاكر السّياب أن يضفي على بعض الأمكنة بعدًا جماليا، حيث صوَّر قريته جيكور في لوحة كاملة من الصُّور والأطياف[1].

علمًا أنَّ الشّعر كانت له أبعاده الاجتماعيَّة ، نتيجة التَّحوُلات الّتي عَرفَها العراق ،بفعل الصّراعات الَّتي جعلت الشُّعراء يتأثَّرون لحالة الحُزن واللَّوعة والبُؤس ،وقد كان لهذا الأثر الاجتماعيُّ تأثيرُه المباشرُ على المواطن البسيط ،ومن خلال الوضع الاجتماعيّ ،فظهر الحيارى والسّكارى والضّائعين، إذ يبدو الخَوفُ والقلقُ والعذَابُ على كلّ منهم فاستحالُوا إلى مجرمين وذئاب قلُوبُهم صحار جافـّة[2].

و أشار بدر شاكر السياب في شعره الي الظروف السياسية التي عاصرها فقد حاول الوقوف عند جوانب سياسية تخص الوطن فرغم اغترابه وابتعاده عنه فقد ظل ينبض في قلبه وكيانه، فعبر عن معاناة شعبه من الظلم والطغيان وماقصيدته سربوس في بابل الا برهان على حضور وطنه وشعبه حيث وظف الشاعر رمز سربوس وهو الكلب الذي يحرس مملكة الموت ورمز الطغيان السياسي في موطنه العراق حيث يقول :

ليعو سربوس في الدروب
في بابل الحزينة المهدمة
ويملأ الفضاء زمزمة
ممزق الصغار بالنيوب ،يقضم العظام
ويشرب القلوب[1]

---

1 اسماعيل محي الدين، **من ملامح العصر**، ط2، الدّار العربيّة بيروت لبنان، ص13.
2 عبيدات زهير حسن سليمان، **صورة المدينة في الشّعر العربيّ الحديث**، دار الكندي، الأردن، ص32.

فالشاعر يقف على بابل مدينة التاريخ ورمز الصمود ويصور معاناتها نتيجة الظغيان السياسي والالم والغراب والدّمار الذي حلّ بها .

ونلمس استحضار الشاعر للموروث الديني في قصة هدم الكعبة ، والكعبة ترمز للدين الإسلامي وللصمود ونصرة الله تعالى :

ولون أبرهة

وما عكسته منه يد الدليل

والكعبة المخزونة المشوهة[1]

ولم يكن المكان حاضرا لدى شعراء المشرق فقط ، بل كان له حضورًا قويًّا لدى شعراء المغرب العربيّ ،خصوصا في الجزائر ، فبرز نخبة من فحول الشّعر ، كمفدي زكرياء و محمد العيد آل خليفة ومحمد السّعيد الزّاهري وأبو اليقظان والطّيب العقبي، محمود بن دويدة وعزّ الدّين ميهوبي وغيرهم....

**4-تجلي المكان وأبعاده في شعر مفدي زكرياء :**

(1908_1977) هو شاعر جزائريّ ولد ببني يزقن بغرداية سنة 1908كرّس شعره لقضايا الوطن والثّورة المجيدة حتى لقّب بشاعر الثّورة الجزائريّة من أهم مؤلّفاته إلياذة الجزائر ، الّتي بلغت ألف بيت شعريٍّ ،والنّشيد الوطني الرّسميّ قسما، إضافة إلى ديوان اللّهب المقدّس تغنّى بجمال الجزائر وذكر شمائلها ومعالم الإعجاز في نضالها وقد كتب في جدران زنزانته أشعاره توفي يوم 7اغسطس 1977بتونس ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه بغرداية سنة 2014.

يعتبر مفدي زكريا من أكثر الشُّعراء قدرةً على إبراز صورة المكان، فقد ذكرهُ في الكثير من قصائده، السّجن، المدينة... وقد حملت دواوينه الكثير من الدّلالات والأبعاد النّفسيّة

والاجتماعيّة، فذكرُ الجبل يحملُ دلالة القُوَّة والصُّمود وعزَّة النَّفس ورفض الخُضوع والاستسلام ورمزٌ للتَّحدّي والصُّمود حيثُ يقولُ الشَّاعرُ:

هذي الجبال الشَّاهقات شواهد

سخرتْ بمن مسخ الحقائق وادَّعى

سل جُرجُرا تُنبئْكَ عنْ غضباتها

واستفت شيليا لحظة وشعلعا

واخشع بوارشنيس إنَّ تـُرابـَها

ما انفك للجُند المعطّر مَصرعَا[1]

كما تجلَّت صورة السّجن وحملت الكثير من الدّلالات الايجابيَّة والسّلبية فهو رمزٌ للظُلم والاستبداد كونه وسيلةً حقيرةً اتـَّخذَها العدوُّ لممارسة كُلّ ألوان العذاب الجسديّ والنَّفسيّ ضدَّ الثُّوار وقد عانى الشَّاعرُ من غياهب السّجن فقد قضى سبع سنوات فيه قاسى فيها المعاناة والإرهابَ النَّفسيَّ والجسديَّ رفقة إخوانه الأبطال من المجاهدين والثُّوار، حيث يقول:

ياليلُ خيّم ... واعصفي يا رياح

يا سجنُ ازخر ...بجنود الكفاح

فأنت ياسجن .. بجنود الكفاح

فاأت ياسجن ...طريق الخلود

أنتَ محرابُ الضَّحايا

في حناياك الأسُود

أنتَ ..أنتَ ..أنتَ ... يابربروس

فسجنُ بربروسَ يَحملُ الدّمارَ والخرابَ والكآبةَ... لكنَّهُ في آن واحد رمزٌ للمجد والفداء والبُطولة والتَّضحية والشَّهادة. أما الدَّلالات والأبعاد السِّياسية والوطنيَّة فهي حاضرةٌ بقوةٍ في الشِّعر الجزائريِّ من خلال صورة المدينةِ حيثُ يقول مفدي زكريا:

---

1- مفدي زكريا ، **إلياذة الجزائر** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1997 ، ص 19

جزائرُ يا مطلعَ الـمُعجِزات

و يا حُجّة الله في الكائنات

و يا بسمة الرّبِ في أرضِه

و يا وجهه الضّاحك القسمات

جزائرُ يا بِدعَة الفاطرِ

و يا روعة الصَّانعِ القادرِ

و يا بابلَ السّحر من وحيها

تلقَّب هاروتُ بالسَّاحرِ[1].

أما الشَّاعر مفدي زكريا فشعره ثوريٌّ بامتياز ... لكنَّه اهتمَّ بجمال المكان فحضرت في متنه الشِّعريِّ صوَّر المكان كالجبل، السِّجن، الصَّحراء، القرية، المدينة، حيث أنشد قائلا:

إنَّ الجزائرَ قطعةٌ قدسيَّة

في الكون لحَّنها الرّصاص ووقَّعا

قصيدة أزليَّةٌ أبياتها

حمراءٌ كان لها نوفمبر مطلعا

سمع الأصم رنينها فعنا لها

ورأى بها الأعمى الطَّريق الأنصعا[2].

فالجزائرُ ملهمتُه وقطعةٌ تأخد بعدًا تاريخيًّا يزخرُ بالبطولات وأمجادُ نوفمبرَ خلَّدَها التَّاريخ.

كما يرى في قسنطينة معقلًا للعلم والعلماء يحملُ أبعادًا تاريخيَّة عريقة حيثُ يقول:

وادي الهوا! بالهوى، نشوان خاصرها

وخاصرها، كأنَّ الأمر مقصود

---

1- مرعي السّاهر، **مفدي زكريا إلياذةُ الجزائرِ**، دار المختار للطّباعة والتّوزيع، الجزائر. ص 141 .
2- مفدي زكريا، **اللّهب المقدّس**، الجزائر، ط1، 1989، ص58.

وكلّ شيءٍ بسرتا اليومَ مغتبط

وكلَ شيء بسرتا اليومَ محسودًا[1].

فسرتا لها دلالتها التّاريخية وهي منارة العلمِ والعلماءِ وجذورها تعود للماضي المجيد .
كمالم يكتف مفدي زكريا بوطنه الأمّ بل تعدّاه إلى المغرب الكبير فها هو يستحضر المكان التّونسيّ حيث

يشير للمواقع التّاريخية الّتي ارتبطت بالثّورة والكفاح ضدّ المستعمر كقوله:

وأغضب غضبة ليث القتال

وأذكر بنزرت والسّاقية[2].

وبنزرت هي من المدن الساحلية بتونس، وبها أكبر ميناء تونسي، وأثناء الاحتلال الفرنسي لها، أقام بها المستعمر قواعد عسكرية، أما السّاقية (فهي ساقية سيدي يوسف (على الحدود الجزائرية التونسية ، حيث شهدت اعتداءات الطائرات الفرنسية عليها عام 1958 ، وسقط فيها مجموع من الشّهداء الجزائريين والتّونسيين ، ومازالت تحيي ذكراها إلى يومنا هذا ونكتشف أيضا افتتان الشّاعر بجمال سكيكدة و بدلالالتها التّراثية والتّاريخية والدّينية، وثورة أهلها و أحداث 20أوث 1955 :

سَكِيكَدةَ الثائرينَ أعيدي
علينا فضَائحَ باغ حَقُودِ

أغسطس عشرون لم يَنْسَهَا
ويذكُرُهَا ألفُ ألفِ شَهيدِ

وخمسٌ وخمسُونَ في الذكرياتِ
جَلالٌ .. يُهَدهِدُ صَدرَ الوجَودِ

وعِطرٌ للمَذابح في سَاحِهَا
نَوافِجُ تُلهِمُ سِفرَ الخلودِ[1]

**5-تجلّي المكان وأبعاده عند عزّ الدّين ميهوبي :**

---

1- مفدي زكريا، **اللّهب المقدس**، ش،و،ن،ت، الجزائر، ط1، سنة 1983، ص264.
2-حجاب عبد اللطيف ، **جماليات المكان القومي ودلالته في شعر مفدي زكري** ، مجلة اللغة العربية ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2021 ، ص20..
.

(1959 ) هوشاعر وسياسيّ جزائريذ ولد سنة 1959في عين خضراء ولاية مسيلة شغل منصب وزير الثّقافة الجزائريّ ورئيسا للمجلس الأعلى للّغة العربيّة بالجزائر ومديرا للمكتبة الوطنيّة الجزائريّة ، ومديرا عامّا للمؤسّسة الوطنيّة للإذاعة وعضوا بالبرلمان الجزائريّ له العديد من الرّوايات والدّواوين منها،،في البدء كان أوراس ،الرّباعيات ،الشّمس والجلاد ، اللّعنة والغفران,,,,

وقد أبدع من خلال ديوانه المميّز ، في البدء ،كان أوراس حيث اتخذ الشّاعر من المكان مرآةً تعكسُ ذاتَهُ ونفسَهُ وواقعهُ الاجتماعيَّ "العملُ الشّعريُّ ليس مجرَّد انعكاس نفسيّ ذاتيّ كما أنَّـه ليس مـجرّد انعكاس واقعيّ اجتماعيّ إنـَّه قبل كُلّ شئ مُركّب إبداعيٌّ يَصْدُرُ عن مُركَّب إنسانيّ[1]. لقد كان المكانُ حاضرًا في ديوانه حاملا معهُ وجدانَ الشّاعر وأنبلَ أحاسيس الأمل والفخر والاعتزاز حيث أنشدَ يقول

أوراسُ !فجَّرني هواكَ .. ومادَرتْ

هذي الضُّلوعُ بأنَّ جـَمْركَ مُلْهمُ

قلبي ...وقلبي ..والجوارحُ كلُّها

نَطَقَتْ .. وجعُ للصَّدى[2].

هذا الدّيوانُ يعجُّ بـحُبّ كبير للجزائر الأمّ والتَّعلُّق بالأوراس الأشَّم وحبُّه الشّديد لفلسطينَ فصوَّر مختلفَ المشاعر الصّادقة بجولاته في مختلف البقاع والأمكنة، بدءً من الأوراس إلى الجزائر ثمَّ فلسطين والوطن العربّي ثُـمَّ العالم الغربيّ فرنسا وأمريكا ، فجاءت عاطفته وأحاسيسه صادقةً تحملُ أبعادًا نفسيَّةً عميقةً تعبّر عن مدى ارتباطه بوطنه الأمّ الجزائر وأوراسها الشّاهقة، معبـّرا عن مساندته ودعمه للقضيَّة الفلسطينيَّة قلبا وقالبًا ،أمّا ذكر فرنسا و أمريكا فيحمل أبعادا نفسيَّة سلبيَّة تعكسُ نـُفورَه ونظرته العدائية اتـّجاههما حيث يقول في هذا الصّدد:

---

1- محمد الصالح خرفي، **جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر**، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتورا العلوم، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري قسنطينة 2006/2005، ص112.

2- عزّ الدّين ميهوبي، **ديوان في البدء**، كان أوراس، دار الشهاب للطّباعة والنّشر، ط1، الجزائر، 1985،ص20.

كانت فلسطينُ والجولانُ ... كُنَّا هنا

ومصرُ كانت وكان الأرْزُ لُبنانا[1].

لقد حمل هذا الدّيوان زمرة من الحالات النّفسية الّتي انتابته فحوّلت المكان نفسيًّا من واقعه العادي إلى فضاء خياليّ يثير نفسيته ويشحنها بالمشاعر الجيَّاشة. وأمَّا الشَّاعر الجزائريُّ عزّ الدّين ميهوبي فقد حمَّلت شعاره مرجعيات تاريخيَّة ودينيَّة لا يخلو عمل أدبيٌّ شعريٌّ من مرجعية تاريخيّة دينيّة، حتَّى ولو لم تصرّح بطريقةٍ مباشرةٍ "فكلُّ مكانٍ له حمولته التَّاريخيَّة والدِّينية وذاكرته الجماعيَّة مرتبطةٌ بفكرٍ وعقيدةِ الأمَّة وبالتَّاريخ العام للإنسانيَّة"[2].

لقد ذكر عزّ الدّين ميهوبي تاريخ الجزائر ووظّف المكان "الأوراس" كرمز تاريخيّ عريق يحمل أبعادا دينيّة وحضاريّة تعبر عن نقطة التَّحولِ من حالٍ إلى حالٍ فالأوراسُ رمزُ الجهادِ والعنفوانِ ودليل التَّشبُّث بالأرضِ والجذور... كما ذكر أيضا القدس الحاضرة في قلبِ كلِّ مسلمٍ حاملةً في طيَّاتها تاريخَ البطلِ صلاح الدِّين الأيوبيِّ حيثُ يقول:

عد... ياصلاح، فالبلاء أتى

والقدسُ ليلُ... ظلّ معتكرًا[3].

فالقدسُ موطنُ الأنبياء وأولى القبلتين وتحمل بقدسيّتها الكثير من الدَّلالات لأجل هذا تمَّ استهدافُها ومحاولةُ النَّيل منها، من طرف اليهود الغاصبين إضافة إلى ذكره لغرناطة وقرطبة ودمشق ،والكعبة الشَّريفة وبغداد ومصر... هذه الأسماء المميَّزة بتاريخها العريق والعميق ومعالمها الّتي تحمل ألف معنى ورمز فهو تارة يعبّر عن الانتماء والهويّة وتارة أخرى عن التّيه والفقدان والأمل والتّفاؤل بغدٍ مشرقٍ رُغمَ ما كابدته من ظلمٍ واستدمارٍ وفتنٍ وحروبٍ. فلا يُمْكِنُ أنْ يخلُوَ أيُّ إبداعٍ شعريٍّ من مرجعيَّة دينيَّة أو تاريخية قد تكون ظاهرة وواضحة أو ضمنية فاستلهامُ التَّاريخِ من قِبَلِ الشَّاعرِ وتوظيفه في شعره لا يُعدُّ نقصا فنّيا أو عيباً والعودة

---

1- المرجع السّابق، ص85.
2- محمد الصّالح خرفي، **جماليات المكان في الشّعر الجزائريّ المعاصر**، ص 152.

3- عزّ الدّين ميهوبي ، ص 193.

إلى التَّاريخ ليس المقصود بها إعادة كتابة هذا التّاريخ بإحداثه ووقائعه الحرفيَّة ،فهذا ليس عملُ الشَّاعرِ[1].

كما ذكر الشَّاعر بعض الأماكن الَّتي تحملُ رموزًا ودلالات حيثُ يقول:

وطنٌ يفتِّش عن وطن

و عيون فاتنة من الدَّامور

تحتضن المقابر والكفن

فالقبرُ يحمل دلالة وصورة العجز

فهو ضيِّقٌ لكن لا مفرّ منه فالإنسان خلق من تراب وسوف يعود إليه وعليه وجب أن يستعد له بتقوية الإيمان والعمل الصّالح فهو من القضاء والقدر. كما يذكر الشَّاعر الصَّحراء والسِّجن ويحملُها بمشاعر الحبِّ والشَّوق والحنان، حيثُ يقول:

في حرمة الصَّحراء أهلي وجيرتي

وربعي وخلاني وأكبادي

ذكرتُهم والسِّجن لفَّ ظلامه

لواعج ألف فارق الأهل مضطرا[2].

لقد جعلَ من الصَّحراء والسِّجن دلالة للاحتواء والتَّميُّز فالمعلوم عن الصَّحراء أنَّها ترمز للجفاف والعطش، والسِّجن الّذي ذاق ويلاته يرمز للظُّلم والاستبداد، لكنَّه جعلهما مكاناً للحياة والتَّجديد والأمل ورمزًا للبطولات.

وخلاصة القول فالمكان قد لعب دورا هامًا وبارزا في إضفاء الجمالية في الشِّعر العربيِّ الحديث والمعاصر وأعطاه مكانة مرموقة بإبرازه لمختلف الأبعاد والدَّلالات النّفسيَّة والاجتماعيَّة والسِّياسيَّة والوطنيَّة والدّينيَّة والتَّاريخيَّة الّتي أسهمت في الرّفع من مستوى النّظم وجعل الشّعر فنًّا رساليًّا بامتياز.

---

1- محمد الصّالح خرفي، **جماليات المكان في الشّعر الجزائريّ المعاصر**،150

2- المرجع السابق، ص316.

# فصل ثان

## تجليات المكان وأبعاده في شعر روضة الحاج

1– أنواع المكان في شعر روضة الحاج.

2- أبعاد ودلالات المكان في شعر روضة الحاج.

## فصل ثان

**أنواع المكان في شعر روضة الحاج:**

كان لروضة الحاج لمستها في رصد الحدود الدَّلالية للمكان في شعرها، باعتباره الصُّورة المثلى الَّتي تحاكي نفسيتها وطموحاتها الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة، فكان هذا المكان الَّذي عبَّرت عنه باختلاف أنواعه رسما صريحا لطريقها الشِّعري، ومرآة عاكسة لشخصيتها الطَّامحة المتمرِّدة المتأملـَّة في غدٍ أفضلَ بشقَّيه المتكاملين؛ شقٌّ يأملُ ويبحثُ لنفسه عن مقعدٍ بين الشُّعراء الرِّجال بعيدا عن نسق الذُّكورة الطَّاغي، وشقٌّ ثائرٌ متذمِّر باحثٌ عن الحريَّة الإبداعية المتحرِّرة، الَّتي تحلمُ بوحدةٍ سودانيةٍ، ووحدةٍ عربيَّة تلغي الشِّقاقات الدَّامية وتمحو الحدود الوهميَّة بين الإخوة الأعداء.

فكلُّ مكان ذكرته روضة، كان له خصوصيَّاته الطَّبيعيَّة والعمرانيَّة، وله قيمته الدَّلالية الَّتي يحيل إليها اجتماعيَّة كانت أم دينيَّة أو تاريخيَّة وأيضا نفسيَّة، وكلُّها يبثُّها الحسُّ الشَّاعريُّ والنَّفحات الإبداعيّة للشّاعرة السّودانية المعاصرة.

فما هي أنواع المكان في شعر روضة الحاج؟

لقد اعتمدت روضة الحاج كغيرها من شعراء جيلها المعاصرين نوعين من المكان ؛ فكان الأوَّلُ مفتوحًا والثَّاني مغلقًا.

**1- المكان المفتوح:**

إنَّ الحريَّة الَّتي ترنو إليها روضة الحاج في قصائدها، تجعلُ من المكانِ المفتوحِ مُتنفَّسا لها، تَبسُط لنا فيه الجمال في أبهى صُورَه، باعتباره مجالًا للحرِّية الإبداعيَّة تُحطِّم به الشَّاعرة كلَّ القيود مهما كان المكان متخيَّلًا أم واقعيًّا ومن أهمِّ الأمكنة الَّتي وظَّفتها في قصائدِها:

**- الطَّريق (الدّرب، الرَّصيف):**

كلُّ الشُّعراء يرتحلون؛ إمّا رحلةً حقيقيَّةً يغتربون فيها بحثًا عن مستقبلٍ أفضل أو غربةٍ قسريَّةٍ تُمليها الظُّروف، وإمَّا رحلةً مُتخيّلة يبحثون فيها عن مُستقرٍ للذَّات الحالمة في ملكوت الجمال اللَّامتناهي وهُنا نجدُهم يُكثرون من استخدام الطَّريق كمكانٍ يُفضي بهم إلى حيث يُسافرون.

وقد سافرت بنا روضة الحاج بكلماتها وحروفها، موظّفة الطَّريق في مُعظم قصائدها بتعدُّد تسمياته؛ فتارة طريقًا وأخرى دربًا إذا اقتضت الحاجة أو شارعًا رحبًا يضمُّ آلامها وآمالها. فتقول معبِّرة عن خوفها من الدَّرب الطَّويل ومن مشَّاق الطَّريق.فالخوف خوف من المجهول وخوف من اللاوصول .

**كم قُلت لك**

**إنّي أخاف عليك من درب طويل**

**كم قلت**

**عَنَتٌ مسافات الطَّريق وزادُنا دوما قليل**[1]

كما تخاطب قلبها الَّذي سافر وتغرَّب بحثًا عن الحبيب المفقود وطنًا كان أم عشيقا أنـَّه سيظلُّ هكذا دائما مادام لا يملك لجاما لشعوره الدَّفاق الَّذي يدفعه إلى الطَّريق الصَّعب حيثُ يَظِلُّ ويشقى فتقولُ له:

**قد كنتُ أخشى أن أقول لك ارعوِ**

**فيجيب منك الدَّمع كالمعتاد.**

**ما بيدي ـ ولكنْ ذا القدر**

**وظللت قلبي في الطّريق**[2]

لتَدعُوَه آخر المطاف إلى عيشِ الحريَّة، عيشِ الطَّبيعةِ، عيشِ العالمِ الجميلِ دون تكلّف أو عناءٍ، إلى عيشِ الشَّاعر الحرِّ المعبِّر عمـَّا يريد، مع ترك التّرحل في مسالك الشَّوق وألم العشق الوعرة، فكأنـّي بها تدعو الشُّعراء إلى لبس عباءة الشِّعر وخلع عباءة الحبِّ والهيُام ، في دعوة صريحة إلى التّحلي بالموضوعيّة و الجدّية في طرق المواضيع بعيدا عن الرّومانسية . فتقولُ مُنهية قصيدتها:

**عش للقصيد يزور بيتك رائعًا**

---

1- روضة الحاج ، **ديوان عش للقصيد**، ط6، 2011، دار تفاصيل الكلم للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص06.

2- المصدر نفسه ، ص1.

# فصل ثان

**مثل القمر**

**ودعِ التَّرحل في دروب الشَّوق**

**دربُ الشَّوق يا قلبي وعرْ.**[1]

ولا تزال متألمةً، تُعلنُ أنَّ قلبها لم يعد يحتـمل ما يفعله به الحبيب حين يُسافر بها عبرَ هذا الطريق الخالي كناية عن المسالك والمساعي الّتي تنتهج كلّ مرّة للوصول إلى برّ الأمان في قضايا الأمّة العربيّة عامّة والسّودان خاصّة فتقولُ:

**صادرتني حتىَّ جعلتُك معلمـًا فبغيره لا أستدلُ**

**والآن يا كُلَّ الـّذين أحبهم**

**عمدًا أراك تقودُني في القفرِ والطرقِ الخواء**[2]

وتلومُ روضةُ نفسها، حين اختارت الطَّريق الخطأ الَّذي لا يفضي إلى الحبيب أو الوطن كأنّها ترسمُ صورةَ الحلم العربيِّ الَّذي يعيدُ أخطاءه وينسى الطَّريق إلى استعادة مجدِ العرب ويسلك سبل الهوان مُجدَّدا.

**ولربما استحيت لو أدركت**

**كم أكبو على طول الطريق إليك**

**كم ألقى من الرّهق المذل من العياء...**

**ولربما... ولربما... ولربما**

**خطئي أنا**

**أنّي نسيت معالم الطريق التي لا أنتهي فيها إليك**[3]

---

1- روضة الحاج، **عش القصيد**، ص 2.

2- المصدر نفسه، ص4.

3- روضة الحاج، **عش للقصيد** ، ص5.

وتظلُّ الشَّاعرة تعاني وحدها أثر البعد والترّحال حتى شَبَّهت نفسها بالغريق الّذي تتشابه عنده كلُّ المسالك والطُّرق حتى نلمس في نبرة صوتها نوعاً من اليأس والملل وفقدان للأمل في تغيير واقعها وواقع وطنها .

**تمضي غدًا وأظل وحدي كالغريق**

**تتشابه الأشياء عندي**

**والمرائي والطريق**[1]

وهو نفسه ذاك الحبيب الصّديق والسّند الذي يملأ عالمها وترى نفسها قد ضيَّعت دربها دونه وحارت أين تسيرُ وكيف تسير، في صورة التّائه الحائر الذي غدا لا يدرك وجهته ولا رفيق رحلته. "والأهم من هذا دلالة كلمة "درب" فهي في هذا الموضع أكثر تأثيرا وأبلغ تعبيرا من كلمة طريق ، فالدّرب هو حيز ضيق يوجد في الريف ، كما يوجد في القرية والمدينة"[2] فالضّيق رمز للألم ورمز لليأس فتنشد :

**قل لي لمن آوي إذا زاد الهجير**

**أو تاه دربي في الزّحام**

**وحرت بعدك في المسير**

وبعد كلِّ هذا الشَّقاء في الحبِّ ، وبعد كلِّ الجفاء والبُعد والتّرِحال، تتساءل روضة الحاج بنبرة فيها أمل تستعير فيها لفظة الدّروب للعمر تعبيرا منها عن العناء الّذي تكبّدته طيلة حياتها :

**حقا يا ربيع العمر يومًا**

**ستجمعنا دروب العمر حقا؟**[3]

وما زال قلبُ الشَّاعرة متعلّقا، متألمّا، ترهقه مسافات المنفى والغربة والحنين يظهر عكس ما يبطن، فتسأله بلغة يملؤها الوجع وثقل المنفى:

---

1- المصدر نفسه، ص08.
2- عبد الحق منصور بوناب، **دلالات الطّريق في شعر السائحي**، العدد 11 جوان 2016، مجلة آفاق علمية، المركز الجامعي تمنراست، الجزائر، ص 101.
3- روضة الحاج، **عش للقصيد** ، ص10.

**حتام ترهقك المسافة**

**تستحيل أمامك الطّرقات أوجاعًا**

**أمّا يكفي الَّذي أبدًا تلاقي والتقيت؟!**[1]

لأنّها بذلك وهي تعبّر عن ألمها تأملُ في اللّقاء لأنَّ عشقها عذريٌّ عفيفٌ سكن به الحبيب الأحشاء وكلّ جوارحها حتّى طالبته أن يبتعد عن دروبها حيث ذكرياتها معه وهو سمة الأماكن عامة حيث تكون محملة دوما بالذكريات والحنين :

**أو ما رجوتك حينما حان الرّحيل**

**أن اتئد عنّي تنحى ..لا تطلَّ عليّ من كلِّ الدّروب.**

**أو ما تعاهدنا ها هنا**

**ألاَّ تلوح بمقلتي**

**ألاَّ تقيم بمهجتي**

**ألَّا تحدّد وجهتي.. حتَّى أؤوب**[2]

"تربط المكان والجانب النَّفسيَّ علاقة وثيقة لما ينجر عنه من قيم فنّية وجماليّة ممثّلة في اختلاف القراءات من ناقد إلى ناقد فأغلب النّقاد يركّزون على تأويلهم لمختلف القصائد الشّعرية إلى الجانب النّفسيّ الّذي يسهّل عمليّة فكّ الشّفرات، فالتّصادم والاضطرابات الّتي يستغلّها الشّاعر كإلهام لتحرير حركته الإبداعية انعكست على توظيف المكان ورصد إشكاليته ودلالاته الّتي يحدّدها كلّ واحد على حدى[3].

ولأجل ّذلك ، تَلُوح لنا الشّاعرة بنبرة اللّوم والعتاب، تذكّره بما فعلته لأجله، حتَّى أنَّها هجرت الجميع مستحضرة من ذاكرتها الدِّينيَّة المكانَ القَصيَّ تأسِّيا بـمريم عليها السَّلام حين نبذها أهلها فاعتزلت وآبت إلى ربها ، ثمَّ سلكت أصعبَ الدُّروب حتىَّ تحظى بشرف لقائه. في صورة للمكان تعكس حالتها النّفسية في وحدة قاتلة **فتقول :**

---

**1-** المصدر نفسه ، ص13.

2- روضة الحاج ، **عش للقصيد** ، ص22.

3- **بوري لوتمان ، شعرية المكان** ،ص68.

**فأنا انتدبت من المكان قصيَّه**

**خبأتُ وجهيَ تحتُ وامتنعت عن القصيد**

**وسلكتُ وعر الدّرب ليلًا**

**واهتديتُ بأنجم أفلت**

**وغيرتُ الصَّوى طُرًا**

**وأعدلتُ النَّشيد**

**بالجرح أخفيه**

**وأهمس لا عليك**

**أمشي على الطّرقات سامقة**

**وكم أجثو بيديك**[1]

وترفع روضة الحاج صوتها، تعلنُ أساها على العروبة والسُّودان؛ حين تغيَّر كلُّ شيءٍ، فلا الكَرَمُ ظلَّ سَمتهم، ولا الرُّجولة ديدنهم، ولا الغيرة شعارهم، حتى ما أكمل الأبطال طريقهم، وأضاعوا حقهم، حين باعوا الوطن، واشتروا مُتعهم الدُّنيويَّة. فتقولُ:

**طالعت في صحفِ الصَّباحِ حديثه**

**قالوا**

**صلاح الدّين سوف يعود من نصف الطّريق.**

**لأن خدمات الفنادق في الطّريق رديئة**

**ولأن هذا الفصل صيف**[2]

وفي قصيدة المعزوفات الخمس تظهر روضة حُزنها وغُربتها وألمها لمنفاها الرُّوحيِّ والمعنويِّ بعيدا عن حبيبها وعن وطنها ، فتعلن ارتحالها إليه ، خلفها طريق طويل ومشُّاق

---

1- المصدر السابق ، ص 23.

2- روضة الحاج، **ديوان مدن المنافي**، ط$_2$ ، 2007، دار تفاصيل الكلم للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص6 .

،وما استخدامها للفظة خلفي سوى إشارة من روضة الحاج إلى صعوبة العودة إلى الوراء ،طريق عبده العرب وساروا فيه والآن لا يستطيعون العودة إليه فتقول في المعزوفة الثَّانية:

**وآتيك لا خيلَ و لا مالَ عندي**

**ولا القول يسعدُ أو يستريح....**

**وخلفي طريق.... طويل طويل**

**وموج ورعد**

**وطين... وريح**[1]

وفي المعزوفة الثّالثة، تسأل حبّها؛ لماذا لا تجده في غيره، لم كلُّ هذا التَّفرد عندها، وصفا وعشقا، وفي كلِّ شيءٍ حتَّى غدا بالنسبة لها السَّكن والوطن الَّذي يحتلَّ كلّ خيالها:

**لماذا ارتديت عيون بلادي**

**وخبأت نيلي في مقلتيك**

**لماذا سكنت بكل دروبي**

**فبات ارتحالي عنك...**

**إليك**...[2]

وبمعزوفتها الرَّابعة تعلن أنَّ روحها الشِّعرية وإبداع حرفها ،ينبعُ من قلبٍ تعلّم العشق على يد محبوبها على يد وطنٍ عشقت فيه كلَّ ركنٍ ، فكان لها المتكأ في دربٍ صعبٍ طويلٍ طول رحلة البحث عنه .

**تتلمذ نبض القصيد بقلبي عليك.**

**فعزّ اصطفائي سواك**

**عليك توكلت إذ عاق دربي**

**فليت عصاك إذًا لو عصاك**...[1]

---

1- روضة الحاج، **عش للقصيد** ، ص34.
2- المصدر نفسه ، ص 6.

وترحل الشّاعرة ، تجلس عند المقعد العشرين ، تسافر بنا في قطار الشّوق ، بهُويتها السُّودانيَّة ووجهها العربيِّ ، ترجو الأنس والمحاورة ، تبحث عن أحاديث الشِّعر والأدب وفنِّ السِّياسة.

**هيَّا تحدَّث... عن هموم النَّاس**

**عمّا أصدر الشُّعراء والأدباء**

**عن فنِّ السِّياسة**

**قل... وزودني لذيّاك الطّريق**

**علِّق على شكل الرّصيف**

**على البيوت... على الشّوارع... قل**

**فقد أفسدت عندي قول كلّ النّاس**[2]

ويبقى الرّحيل أسى الشَّاعرة المتجدِّد، الَّذي يُهلك قلبها، ويؤرِّق ليلها وراحتها؛ رحيل من تحب عنها، ورحيلها عنهم، وها هي تعلن بصوت المكلوم المتعب؛ أنّها تعوَّدت ارتحال الصَّحب عنها حتى تمنَّت أن تُضَيِّع الدَّرب يوم اللّقيا حتَّى لا تعود.

**فليت أنّي**

**أضيّع الدّرب يوم لقاك مني**

**وليت وليت لكن ويح قلبي**

**... ينادي ليت...**[3]

ولكنّ الرَّحيل قد أثَّر في حياة الشَّاعرة، حتى عبرَّت عنه بأنَّ ذلك المكان المرافق لها في ترحالها تلك الدُّروب بلا أملٍ ، فحتَّى الطَّبيعة اكفهرت وغضبت وما عادت هناك حياة بل موت روحي محقَّق.

---

1- المصدر نفسه، ص 7.
2- روضة الحاج، **عش للقصيد** ،ص 10.
3- روضة الحاج، **مدن المنافي**، ص13.

**ورحلت**

**ودَّعت الرُّؤى الخضراءُ دربي**

**غادر الغيم الطَّريق**

**ولفنِّي صمتُ المقابرِ والسُّكون**[1]

كرهت الشّاعرة وملّت الرّحيل، كغيرها ممن تركوا ديارهم وها هي تعبّر عن ذلك فما عادت الطّرقات هديَها، ولا الدُّروب على وسعها تسعها بل أصبحت تضيق بها فبُعدها وإقامتها خارج السّودان أصابها بعمى الإدراك حتى غدت لا تدرك وجهتها وفقدت القدرة على اتّخاد القرار .

**أدري بأنّ الدّرب بعدك لا يسعني**

**والهموم وكوم أشجاني**

**لا أدرى بعيدك مذهبا**

**أنا إن رحلت ربيع عمري**

**كيف أبصر في الطّريق**

**وأين أمضي**[2]

ونطرب جدا لسعادة الشَّاعرة، الّتي عشناها معها في زيارتها الحقيقيَّة أو الخياليَّة لدمشق، هذا المكان الَّذي أصبح دربه دربا جميلا، إذ ظهرت نفسية الشّاعرة في تعبيرها عن وصولها أولى دروبها فتلّونت بلون روحها وإحساسها آنذاك، فتطلب أن يُفسحوه لها، ليسعها ويسع فرحتها، فتنادي بملء فيها :

**يا رفاقي**

**دثّروني... دثّروني**

**بغلالات العبير**

---

1- المصدر السابق، ص14.

2- المصدر نفسه ، ص 17 .

**افسحوا الدّرب لقلب**

**كاد بالشَّوق إليكم يا أحبائي يطير**[1]

وتصرُّ بالمقابل في موضعٍ آخرَ ، وهي لا تزال تُبحر مع الطَّريق،هذا المكان الذي تستلهم منه إحساسها بالعراء ، العراء الروحي بعيدا عن الوطن ، مصرة على البقاء هناك ، تنتظر الخلاص تنتظر الانفراج بعودة المحبوب متى شاء:

**تعال وقت ما تشاء**

**أمّا إذا قرَّرت أن تعود في الشِّتاء**

**فإنَّني مقيمة هنا**

**على الرَّصيف لا يهم**

**على الطَّريق لا يهم**

**على الخواء**

**أن ترتدي دثارك الثَّقيل حينما تجيء**

**أن تحذر الطَّريق إذا تقرَّر العبور**

**فإننَّي**

**أخشى عليك النَّاس والطَّريق والشتاء**

**تعال وقت ما تشاء**

**فإنَّني كما الجراح يا فتى**

**أراقب الطَّريق والوصيد هكذا**

**من الصَّباح... للمساء**[2]

ولا يزال ارتباط روضة بالطّرقات والدّروب والمسالك مستمرا؛ إذ تستخدم هذا المكان دوما، للتعبير عن الرّحيل والهجرة، ويبدو هذا وهي تأمل في أن يعود الألق لمدينتها أن يعود البريق الأسمر لسودانها والبهاء لخرطومها فتقول:

---

1- روضة الحاج، **مدن المنافي**، ص20

2- المصدر السابق ، ص 29 .

**الآن يا مستودع الألق الرّهيب**

**ويا مدارات البنفسج**

**في الفصول القفر والطُّرق الطّوال**

**أحتاج أن تبدو المدينة مسكنًا**

**ويعود للنَّاس**

**البريق العذب... يبتهج الصّغار.**

**وترجع الطّرقات في لون الوصال**[1]

وتطول معاناتها وتشقى مرة أخرى، رغم نضالها المستميت للبقاء والصمود، أمام رجل لا يعترف بوجودها رغم اعترافها هي بحاجتها إليه في طريق نجاحها وتألّقها ونضالها ، فتنشد:

**لكنهَّا**

**بيني وبينك أنّنا**

**في الدَّرب تأتلف الخُطى**

**منّا على طرق النِّضال**[2]

وتعلن روضة في ذات القصيدة، أنّها تائهة تودّ الرّحيل لو عرفت السّبيل، وتأمل في إيجاده حتّى ترتاح، وتريح من عناء التّفكير والرّهق بنفسية متعبة فتقول :.

**فأنا سأرحل**

**حين أعرف كيف جئت؟**

**وكيف أرجع**

**والطّريق ...**

**ويا وسيم الحرف. أذكرني بحرف.**

---

1- روضة الحاج، **ديوان في الساحل يعترف القلب**، ط3، 2011، دار تفاصيل الكلم للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص 1.

2- المصدر السابق، ص 4.

**أرني الطّريق فإنّني ضيّعته و صف الطّريق[1]**

وتعيدها الذكرى مرّة أخرى، حيث شبّت وتربّت، حيث كان السُّودانيون يعيشون بأمان بلا ترحال، فتأمل أن تعود للّعب ليلا على قارعة الطّريق مع الصّغار، أن ترجع لذكريات تسكنها، حيث أمسيات السَّمر بالأشعار والأهازيج الّتي تقال، ولا تدوّن، بل تسري في عروقهم مجرى الدَّم وهي طبيعة المجتمع السَّوداني، فتقول مخاطبة حبيبها:

**خذني إلى حيث القصائد تستريح**

**بغير أوراق وأقلام**

**ونحن مع صغار اللّيل نسعى**

**عند قارعة الطّريق[2]**

ولم تستغن روضة عن الرَّصيف والشَّارع ؛ تلك الأجزاء الَّتي لا تتجزأ عن الطَّريق، والَّتي ترى فيها الأمان أحيانا والحياد تارة أخرى، ترى الزِّحام وترى السّكون الرّهيب، ترى طول الانتظار والرَّهق، وترى اللاَّعودة وكأنّها شريد لا مأوى له فتقول:

**أنتمي للتائهين على الرَصيف**

**الواقفين على محطَّات الكلال[3]**

وقالت أيضا :

**الرَّعد والمطر المزمجر**

**والشَّوارع الخاليات والرَّصيف[4]**

وفي مقام آخر :

**من أجل من ؟**

**أرتاد أرصفة التّشرد[1]**

---

1- المصدر نفسه ، ص 8.
2- روضة الحاج، **في الساحل يعترف القلب** ، ص16.
3- المصدر السابق ، ص 01
4- المصدر نفسه ، ص 1.

**المدينة:**

لقد حفلت قصائد الشُّعراء بها وبتفاصيلها، واختلف تناولها لهم من شاعر لآخر؛ فمن كان مغتربا قسرا أو اختيارًا، ينظر إليها من باب الذكرى، يدفعه إليها ظلام ليالي المنفى، ومن كان مقيما بها، تناولها من منطق الألفة والترابط بينه وبينها، أمّا من كان سائحًا زائرا، فيتناولها من حيث وقعها في نفسه، جمالا وتاريخا وعمرانا وغير ذلك.

ولعلَّ تسميه روضة الحاج لأحد دواوينها، "بمدن المنافي" لخير دليلٍ على العلاقة القائمة بين الشَّاعرة والمدينة، الَّتي حدت فيها حدو غيرها من الشُّعراء المعاصرين، الّذين سبق ذكرهم. تلك المدن الّتي تجوبها روضة الحاج باحثة عن الحبيب المفقود، في منافٍ حملته عليها الأيَّام والظّروف الاجتماعية والسِّياسيَّة الصَّعبة، مبتعدا عن حبيبته الَّتي ما استراحت بغيابه ولا ذاقت طعم الحياة، فتجدها هنا تسرح في مكان واقعي، وآخر متخيلٍّ، في رحلة بحث في كلّ المدن عن حبيبها العشيق أو وطنها الجريح. يقال أنّها قالت عن ديوانها مدن المنافي "الأرض بشكل عام منفى كبير والمدينة على ظاهر ما تحمله من معاني الرسوخ والبقاء، إلّا أنّها تحمل أيضا أضدادها ومنفاها، لذا كانت "مدن المنافي" خربشات باكرة على جدار المدائن ...على جدار منفاي"، والمدينة " تعتبر الوسط الذي تمّ فيه العبور من الحاضر إلى الماضي ،كما أنّها تجمع جميع فئات المجتمع من شباب وكهول وأطفال، وتحدّد لنا ميزة العلاقات الأسريّة والصّداقة[2] فنراها قد وظفّت المدينة في عنوان ديوانها "مدن المنافي " الموسوم على اسم أحد قصائده:

**واحتجت أن ألقاك**

**حين تربّع الشّوق المسافر واستراح**

**وطفقت أبحث عنك في مدن المنافي السّافرات**

---

1- المصدر نفسه، ص 3.

2- عبد الحميد بورايو، **منطلق السرد في القصة الجزائرية الحديثة**،ديوان المطبوعات الجامعية ، 1994 ، ص 146

**بلا جناح**[1]

وتعبّر في قصيدتها "وجع المسافاتّ الشّجن" من نفس الدّيوان ، عن حزنها الّذي يعتريها حين رحلت عن السّودان فغابت الخضرة وغاب الجمال فغدا الكون حولها بطعم الموت وفقدت مدينتها البهاء وألق ونقاء العروس التّي كانت تراها فيها.

**غادر الغيم الطّريق**

**ولفني صمت المقابر والسّكون**

**ورحلت**

**ما عادت مدينتنا عروسا يا أنا**

**وأنا بعيدك من أكون**[2]

وفي ديوانها "في السّاحل يعترف القلب"، تظلّ شاعرة النّيلين تتمنّى؛ أن تعيد للمدينة الحياة بصخبها وبريقها، على رهبة شوارعها وطرقاتها. فقد عبّر عنها إحسان عباس بقوله "وإن ذهب كثير من الباحثين إلى الاعتقاد بأن المدينة في العالم العربيّ ليست سوى قرية كبيرة، وأنّ الشّاعر حين يحسّ بتضايقه من المدينة ويتحدث عن الغربة والقلق والضياع، إنّما يحاكي شعراء الغرب حين يضيقون ذرعا بتعقيدات الحضارة الحديثة وبالمدينة الكبيرة الممتلئة".[3]

**الآن يا مستودع الألق الرّهيب**

**ويا مدارات البنفسج**

**في الفصول القفر والطّرق الطوال**

**أحتاج أن تبدو المدينة مسكنا.**

**ويعود للنّاس البريق العذب... يبتهج الصّغار**

**وترتفع الطّرقات في لون الوصال**[4]

---

1- روضة الحاج، **مدن المنافي** ، ص 1.
2- المصدر السابق، ص14.
3- إحسان عباس، **اتجاهات الشعر العربي المعاصر**، ط2، 1992، دار الشرق، عمان، الأردن، ص 82.
4- روضة الحاج، **في الساحل يعترف القلب**، ص 1.

كلّ هذا تعبيرا منها على أنّها كغيرها من الشُّعراء، ترى في غياب الأحباب غيابا للحياة، فيغدو مكان العيش -المدينة- على انفتاحه مغلقا يسجن داخله حزن صاحبه وألمه، في حصار داخليّ أو خارجيّ، وهميّ أو حقيقيّ يسببِّه الرّحيل والغربة حتّى أسمت المدن بمدن الوبال كناية عما أصابها من وابل الفرقة والتّقسيم والشّقاق الحاصل :

**ولست أقوى السَّعي**

**من فرط الهزال؟؟ وبأيّ كفٍّ**

**قد صددت الحزن حتَّى ألح يضرب**

**بالحصار عليَّ في مدن الوبال**[1]

أما حين تعلن عن رحيلها، فإنّها تنفي أن يكون لها مكان في قلب حبيبها، فما عادت عيناه سكنا لها ومستقرها، معبّرة عنه بالمدينة حيث السكن والمستقر دوما فتقول متألمّة:

**أنا راحلة**

**ما عاد لي في مقلتيك مدينة أو قرية...**

**أو موضع أرتاح فيه**[2]

كما تضفي على المكان ألقا، ولونا بنفسجيا جميلا، كلون الأحلام الجميلة، وكلون نبتة الخزامى المنتشرة في بلادها وهي تصف ما يعنيه لها حبيبها، وما أضافه لحياتها:

**وطليت باللّون البنفسج**

**ما صدى من أحرفي الحيرى وباب مدينتي**

**وزرعت أروقتي بهذي السوسنات**[3]

وتزاوج بعدها الشَّاعرة بين الجمال والحبِّ و العمران ، لتعلن من قصيدتها "للبحر أغنية جديدة" أنّ سرّ السّعادة في الحياة وجود الحبيب والبحر وأضواءِ المدينة واختارت من المدينة أضواءها إشارة إلى الأمل والانفراج :

---

1- المصدر السابق ص 2.
2- المصدر نفسه ، ص 07.
3- روضة الحاج، **في الساحل يعترف القلب** ، ص 09.

**أنت والبحر وأضواء المدينة**

**المراكب والحقائب**

**والحكايات الحزينة**

**وحديث الشّط للرّمل**

**وأسرار دفينة.[1]**

**أسقطت كلّ النّاس**

**في كلّ المدينة**

**واختزلت عيونهم في مقلتيك**

**واتّخذت منك مدينة أهوي إليك[2]**

لتختتم الشّاعرة القصيدة بنبرة كلّها حسرة على الواقع المرّ لبلادها حيث تتساءل :

**عام مضى**

**كم كان صعبا أن أقول وأن أسير**

**كم كان صعبا أن ألوح بالحياة لتختفي**

**ويظلّ خلف سياجه ذاك الأسير**

**كم كان صعبا أن تكون مدينتي شبرا**

**وقد عوّدتني حلم المسير[3]**

في إشارة منها إلى السّودان بلدها الأم ، كيف يُقسَّم ويتناحر أهله الّذين كان يحتويهم بكل حبّ فضاق بهم على رحابته. كيف يختزل المسير فيغدو سرابًا بعد أن كان حلما يتحقّق ، هو وطن عبرّت عنه روضة الحاج في مواضع عدَّة إمَّا ذكرا صريحًا أو بألفاظ مكانية متعدِّدة إمّا المدينة أو الخرطوم أو السّودان.

---

1-المصدر نفسه ، ص 10.
2- روضة الحاج، **عش للقصيد** ، ص 27.
3- المصدر السابق ، ص28.

كما لها قصيدة نقوش على جدار ثالث وقد ارتبط اسمها بالجدار ذلك المكان الذي يعبّر عن انقسام السّودان إلى جنوبيّ وشماليّ تلك الجدران التي تضع الحدود بين الأهل كما سبق إلى ذلك جدار برلين والجدار الفاصل بين الضّفة الغربية والضّفة الشرقية ، رغم هذا تشير إلى أنّ الجدار لا يعني الغياب لأنّ الوطن مسكنه القلب والقلب تغيب فيه الاتجاهات .

**حبيبي لقاؤك في عيون النّاس**

**في بلدي جنوبا أو شمالا[1]**

وفي قصيدة "أنا راحلة" تشير إلى السّودان بألقاب تربطها بجمال طبيعتها الغنّاء لأنّ منطقة السّودان تعرف بزرع نبتة الخزامى بلونها البنفسجيّ الجميل الحالم.

**وحملتني في زورق الأشعار**

**يعبر بي إلى جزر الخزامى**

**حيث تبتهج الحروف الباكيات[2]**

**- السّودان :**

وطن الشّاعرة وبلدها الأمّ مجتمع عانى كثيرا منذ استقلاله، ذلك البلد القارّة فلولا انقسامه كان سيكون أوّل بلد إفريقيّ من حيث المساحة ، تقول عنه روضة الحاج في إحدى المقابلات التّلفزيونية :أنّ المجتمع السّوداني يعيش حراكا اجتماعياً كما هو الحراك السّياسيّ، بلد الشّعر والشّعراء يقال عن أهله أنَّهم أمةٌّ تقرض الشّعر كما تشرب الماء، الشّعر في السّودان له قاموس غزير ينهل من بيئته ،وتراث متعدد ومتنوع تحفل به ثقافة المجتمع السّوداني ورغم أنّ به أكثر من 500 عرق أو قبيلة و 150 لغة لكن به احترام ثقافي عال وتقبل رائع للآخر[3]. بلد يعاني الآن من ويلات التناحر على السّلطة بين قبل الجنرالين الصّديقين فما عرف الاستقرار منذ استقلاله.

وظفته الشّاعرة وأشارت إليه وعبّرت عن ألمها لألمه وألمها لفقدانها الأحباب به فتقول:

**أأعود**

---

1- روضة الحاج، **في الساحل يعترف القلب** ، ص 04.
2- المصدر السابق، ص 9.
3- روضة الحاج، برودكاست شاعر، قناة البوادي الكويتية، لقاء تلفزيوني، ماي 2023.

**كيف تصوّر السّودان دونك**

**آه يا ليلاي كيف .....**

**أأرجع**

**لست بالسّودان ليلى**[1]

ثم تذكره بعبارات أخرى : الوطن، البلاد، أو الجنوب والشّمال تعبيرا عن رحابته كونه ذاك المكان المفتوح الواسع الذي يعاني الجراح .

**كم كنت تحتفلين بالوطن النّبيل**

**وتعكفين على الجراح به**[2].

**تفرّسوا الطّريق مرتين**

**إلى الجنوب مرّة ومرّة إلى الشّمال**[3]

وفي معزوفتها الثّالثة على أوتار حزنها وشوقها تقول:

**لماذا ارتديت عيون بلادي**

**وخبأت نيلي في مقلتيك**[4]

أي احتواء هذا لذاك الوطن الّذي يسكن الشّاعرة، وطنٌ ينطق به جسدها وروحها.

**- الخرطوم:**

ورد ذكر الخرطوم، في كم من موضوع في قصائد الشّاعرة، لما تعطيه المدينة من دّلالة عند السّودانيين عامّة والشّاعرة بصفة خاصّة. فهي عاصمة السّودان ملتقى النيّلين؛ تضمّ ثلاث مراكز أم درمان، الخرطوم بحري والخرطوم عموم. أشارت إليها في قصيدتها معبّرة عن انتظارها الفرحة والفرج لوطنها ،تصف حالة أهل هذه المدينة وهم يرقبون وإياها فجراً جديدا.

---

1- روضة الحاج، **للحلم جناح واحد**، م س، ص 11 .
3.المصدر نفسه ، ص12
2- روضة الحاج، **للحلم جناح واحد** ، ص 11 .
3- المصدر نفسه ، ص 7.
4- روضة الحاج، **مدن المنافي** ، ص 6.

**رأيت أنّ الشّمس ما لبست سوى ثوب القمر!**

**النّاس في الخرطوم**

**لم يبدو على الصّباح تضجّرا**

**من حرقة الشّمس المحبّة**

**والمشّاعر الطّويلة**

**وانكسارات التّوقع والحذر**[1]

**قولي خناس**

**إنّ حزني قاتلي حتما**

**حزني على الخرطوم.**[2]

**يعاودني السّؤال**

**يا ويحها الخرطوم كيف أطيقها ؟؟**

**تبّت يد الخرطوم**[3]

ولفت انتباهنا أنّ الشّاعرة قد خصّصت للشّام ودمشق قسطا كبيرا ،حيث جعلت لهته الأخيرة قصيدة كلّها تغنّ بسحرها ومناجاة لها ولطبيعتها الغناء، وافتخارا بتاريخها الإسلاميّ الزّاخر .

**ـ دمشق:**

تلك العاصمة السّورية الجميلة ،صوّرتها لنا كما صوّرها قبلها محمود درويش ،على أنّها المدينة ّالتي يتمنى كل إنسان العيش فيها. تعكس تجربتها التّاريخية تختزل فيها المسافات بين الماضي والحاضر ، تحمل على عاتقها الموروث العربيّ في ثنائية رائعة ومزاوجة جميلة بين

---

1- المصدر السابق ، 35.
2- روضة الحاج، **للحلم جناح واحد** ، ص37.
3- روضة الحاج، **في الساحل يعترف القلب** ، ص 5.

الأصالة والمعاصرة ، وما استحضار الشّاعرة لها إلّا بكاءً خفيًا على ما حلَّ بها من خرابٍ ودمارٍ إثر الحرب السّياسيّة والأهليّة الّتي عاشتها.

تستنجد بها الشّاعرة لتلفّها ببردة الحسن والتّاريخ، تشعرها أنّ العرب مازالوا أقوياء، وأنّ تاريخهم المجيد سيعود فنادتها في كلّ مقطع من مقاطع قصيدة "مطارات المنى الممراح" ، لأنّ الشّام بمدنه الجميلة العريقة لطالما شغل حيّزًا كبيرًا في وجدان الشّاعرة بحسنه وجماله ومحطّاته التّاريخية العربيةّ الإسلاميّة، فها هي تنادي دمشق باسمها التّاريخي "جلق" ،حيث رأتها محطّة تستريح إليها من شقاء سفرها وهجرانها لبلدها وطوافها بين المدن بحثا عن فضاء لا همّ فيه ولا حزن.

**بشروني يا رفاقي**

**إن دنا ركبي إليكم**

**وأنا أحدو المطايا**

**كي يواصلن المسير**

**كلّما لاقين وهنا. قلت "جلّق" منتهانا**

**سدرة الحسن المثير**

**اهمسوا جهرا بأنّا**

**قد وصلناها دمشقا**

**واجيروا قلبا كسير**[1]

ومن ذات القصيدة يزداد وصفها لها بأنّها أعجزت حروف الشّاعرة، وألجمت لسانها عندما أشرفت إليها من فوق جبل قاسيون على مشارفها، فما عادت تبصر سوى الجمال الشّاميّ وما يحيط بنهر بردى مما بناه أسلافنا في عهد خلافتهم المزهر، حتى استحقّت المدينة لقب الفيحاء ،كلّ هذا خيالاً أو حقيقة يدمي قلب القارئ ويستنهض الهمّة العربيّة المسلمة لاستعادة مجدها، مجد الأمويين والمسلمين جميعا .

---

1- روضة الحاج، **مدن المنافي** ، ص 20.

**يا دمشق**

**من ربى قاسيون أعياني الكلام**

**وانزوى الحرف كئيبا**

**لك بيِّن عند الخصام**

**وتراءت لي على (بردى) سهول**

**وحقول وقصور وخيام**

**لاح لي "مروان" يسعى**

**وتوهّمت هشام**

**إيه يا حسناء ... يا فيحاء**

**يا حسن الشام[1]**

وبدت السّعادة في صوت الشّاعرة حين تلامس قدمها أرض دمشق ،حين تمشي الأرض على الأرض وتلامس روحها روحه حتّى تراها ترحّب بها وتكتسي حلّة من ربيع زاهٍ يزيد الموقف رهبة وجمالاً.

**يا دمشق**

**شاب رأس الحور من طول الهيام**

**كحّل الصفصاف عينيه ونام ...**

**يا دمشق**

**أيّ ليل قيظ اللّيالي**

**الثريات تدلّت**

**ومشت تسعى قبالي ...**

---

1- المصدر السابق ، ص21.

**يا دمشق**

**أي عطر ألقى في سماواتك ألقى**

**في ثيابي**

**عطر مجد زانها الدّنيا زمانا**

**فوق هاتيك القباب**

**عطر نور شعّ للدّنيا بهيًا**

**من ثنيات الشّعاب**

**عطر غرّ**

**أوقفوا التّاريخ إجلالا لهم**

**في ذهاب ... وإياب**[1]

وتعتري روضة الحاج قشعريرة الرّهبة القابعة في جوف دمشق حتى فقدت معها الإلهام وألجم لسانها عن قول الشّعر لأنّ الصّورة أبلغ بكثير من التّعبير فالمدينة فقدت الحياة من الخراب الذي حلّ بها إثر التّناحر على السّلطة فما عادت سوريا كما كانت . فتنادي:

**دثّريني يا دمشق**

**لست أدري اليوم ما بي**

**طائر الشّعر جفاني**

**عود قولي قد عصاني**

**وبياني لم يعد ويحي بياني**

**دثريني يا دمشق**

**قبل أن يمضي صوابي**[2]

---

1- روضة الحاج، **مدن المنافي**، ص 21 .
2- المصدر نفسه ، ص22
2- المصدر نفسه ، ص 22.

كما أشارت الشّاعرة إلى الشّام في قصيدتها "بلاغ امرأة عربية" ،كونها من بين مجموع الدّول العربيّة الّتي تقدّم عنها روضة الحاج بلاغها ، تذمرًا من الواقع العربيّ المرّ من الهزائم وسرقة الثّروات العربيّة فتقول:

**أنا كم أحبك خاتم الوسطى**

**ففيك نسائم الشّام التي أهوى**[1]

في إشارة منها إلى جمال الشّام إذ نسبت إليه أصل الخاتم وجمال حليّ المرأة العربيّة الّتي تزيّن أصابعها. لأنّها جعلت لكلّ جزء من حليها أرضا وبلدًا يعبّر عنها.وفي دلالة أخرى عن خاتم الخلافة الذي كان يزين أصابع خلفائها.

**- القدس:**

معقل الأحرار وموطن الثّوار له مكانته الخاصّة عند العرب المسلمين، بوصفه عاصمة للدّولة الفلسطينية له قدسيته وتاريخه المشرّف ،حيث المسجد الأقصى حيث الوجود الإسلاميّ الفلسطينّي قديما وحديثا حيث الأسى. الألم والاضطهاد الصّهيونيّ ولذا لا يمكن لشعر عربيّ أن يخلو من ذكر له وكان لروضة الحاج نصيبها من هذا الذّكر كيف لا وهي حاملة هموم الأمّة العربيّة كلّها.فتبكي خلاخلها الّتي لبستها أقدام المرأة العربيةّ الحرّة التي زارت القدس وجالت به .

**وخلاخلي أوصافها**

**يا حزن أقدامي الّتي صعدت حزون القدس سعدًا**[2]

كما ذكرت العديد من الأماكن الّتي لها تاريخها ووزنها في تاريخ العرب، إضافة إلى كون هاته الأماكن تعاني إمّا حصارا عسكريّا أو عانت اضطهادا صهيونيّا أو مازالت تعاني ، أهمّها الجليل، العراق، بغداد، سبأ، مأرب، طولكرم، مدائن العدم ، حائط البراق، بسطام، حطّين، يرموك، نجد العرار، دير ياسين.

---

1- روضة الحاج، **عش للقصيد**، ص37.
2- المصدر نفسه، ص3.

**- الأرض:**

منها ولد الانسان وإليها يعود دائما ما يحملنا إليها الشّوق والحنين وتسوقنا الذّكريات إلى نقطة تحوّل عند جميع الخلق في إبراز العلاقة بينها كمكان يعطينا وقفة نفسيّة ويفجّر القريحة الشّعرية للشّعراء قديما وحديثا لتزهر قصائد رائعة يأخذها إليهم شدّة تعلّقهم بها. فكانت الأرض عند روضة الحاج ماضيها وحاضرها تسعد بكلّ ما يربطها بها فنجد نظرتها إليها مميزة تتراءى لها فيها الحياة بدورتها من خلال نمائها وإعمارها ، فتزدهي غاباتها و شعابها وسهولها وتنتشي سواحلها وتورد صحراءها. بمطر يرويها ويحييها.

**ويهزّني صوت المطر**

**ينهل منتشيا بحب الأرض**

**يعزف أغنيات السّعد للغابات**

**والصّحراء ... والأطيار ...**

**وباسقات الطلح في جوف المسافات البعيدة والمدر**

**نشوى بإنشاد الألى**

**فرحا يغنون الرّبى والأرض**

**يبتهجون إن جاء المطر**[1]

فكانت الأرض عنصرا مكانيا ملهما لها لتتفجّر شعرا وإبداعا ،وفي الوقت ذاته مادّة خاما تعبّر بها مثلها مثل أندادها من الشّعراء ،فتصاحبها وهي في رحلة بحثها عن الحبيب الغائب عن وطنها الجريح الضّائع ، فتسرح بخيالها حين تشتم عطر هاته الأرض، الانتماء والاحتواء بترابها برائحة المطر فيها بعبق أزهارها وطبيعتها الغنّاء. إذ "تشكّل الأرض لحظة البداية الكبرى الّتي تلغي كلّ ما يدلّ على الحضور الإنسانيّ وتضع الطبيعة أصلا لكلّ شيء".[2]

**وهمست للطّرقات كوني صادقة**

---

1- روضة الحاج، **مدن المنافي** ، ص3.
2- سعيد بن كراد، **السرد تجربة المعنى**، ط 4، 8،199 ص 169.

**العطر عطر الأرض**

**ليس العابرات عن الشذى والزيّت والأسفلت**[1]

جاء هذا في لوحة فنّية جميلة تعكس حبها لوطنها ونظرتها إليه بعد طول الغياب وفي موضع آخر من قصيدة عش للقصيد تسافر الشّاعرة مع حبيبها تتبعه نحو غد أفضل تشتكي عناء السّفر في الأرض غير الآهلة في القفار.

**ما بيدي أسافر في اليباب**

**وأنا وراءك في القفار أهيم والأرض الخراب**[2]

وفي إشارة منها إلى عناء السّفر في الأرض الخالية لا تزال روضة تنظم حتى تعبّت وكلّت حروفها ووهنت قصيدتها.تعطينا بذلك إشارة صريحة إلى احساسها بخلوّ المكان حولها رغم كونه عامرًا لأن الوطن غير الوطن والأرض ليست هي السّودان .

**كم أرهقت خيل القصيد ترحلّا.**

**لك في القفار ... النّار .. والقفر المخيف**[3]

ولم يتوقف استخدام روضة الحاج لعناصر المكان في شعرها عند ذكر الأرض بهذا المصطلح نفسه ،بل تعدته إلى عناصر هاته الأرض ومكوّناتها ،من بحار وأنهار وصحار ،ولعلّ طبيعة السّودان بلد النّيلين الأزرق والأبيض بلد البحر والصّحراء، هي من دفعت الشّاعرة إلى ذلك حسب ما نمت فيه وترتّب على رؤيته والاستمتاع به ولعلّ أهمها :

**- الصّحراء: (الواحة، النخيل، الفلاة):**

وهي جزء لا يستهان من كلّ أرض من الوطن من سودان الشّاعرة ، وعنصرٌ جماليٌ من عناصره عبّرت عنها روضة الحاج بوصفها مكانا من الأمكنة التّي ارتحلت إليها الشّاعرة

---

1- روضة الحاج **مدن المنافي**، ص 34.
2- روضة الحاج، **عش للقصيد**، ص 01.
3- المصدر نفسه، ص 16.

حقيقة وخيالا في رحلة بحثها اللاّمتناهية عن الحبّ عن الأمن عن الأمان عن الغد الباسم عن وطن بعيد عن الخلافات والشّقاقات، وأنّ هذا الحبيب يسكنها ويسكن روحها رغم البعد عنه بكل شساعة الطّبيعة إذ تقول في قصيدتها.

**وبيننا بحران يصتخبان**

**الآلاف من الأميال صحراء وغابات وبيد؟**[1]

مشيرة في قصيدتها "بلاغ امرأة عربية" وواصفة عطر المرأة العربيّة المستقى من عبق كّل نقطة من أرض بلادنا العربيّة ،من الصّحراء وريح مسكها وجمال طبيعتها.

**أوصاف عطري؟؟**

**هل شممت عبير مسك الاستواء**

**في الغاب والصحراء والمطر العنيف**

**وكلّ سطوات الشّتاء**[2]

كما تجعل منها رمزًا للحياة والنّشوة والسَّعادة حين ينزل عليها المطر فتقول في قصيدة "لك إذ جاء المطر"

**ويهزني صوت المطر**

**ينهل منتشيا بحب الأرض**

**يعزف أغنيات السّعد للغابات**

**والصّحراء ... والأطيار**[3]

إشارة إلى ما يقابل هاته التّحفة الطّبيعيّة ببساطها الأصفر وواحتها وكثبانها من السّكينة والهدوء ، من الاتّساع والرحابة من الانفتاح والحرية .

---

1- روضة الحاج، **عش للقصيد** ، ص 24.
2- المصدر نفسه ، ص38.
3- روضة الحاج، **مدن المنافي**، ص3.

أمّا في قصيدتها "تعاويذ على جدار الهزيمة " فتشير إليها بوصفها هي ذاتها الّتي خّط عليها رسول الله صلى الله عليه وسلّم خطوات هجرته الصّعبة في سبيل الله حيث لا ماء ولا عشب ولا حياة فتحمل بذلك عندها دلالة التّاريخ والدّين .

**أو مخرجي**

**نعم رسول الله**

**يخرجك الّذين تحبهم**

**فردا تهوم قسرا في الفلاة والدّروب والشّعاب"**[1]

واصفة بذلك مسيرة منفاه ومشّاقها الّتي كلّلت بنصر من الله وفتح مبين.

أما الواحة سليلة الصّحراء بنت الفلاة فقد كانت سبيل روضة لوصف عيني حبيبها التي ارتشقت فيها رحيق الحبّ ولذته، فجاء في مطلع قصيدة "خذني إليك" قولها:

**خذني إلى عينيك**

**أجمل واحتين عرفت حين دخلتها**

**لغة الرّحيق**[2]

فاستعارت الواحة الملأى بكل زهر ونخلة بكلّ ما يحيلها إلى بلدها الحبيب إلى سودانها بجمال صحاريه وسمرة أهله البهيّة، هوّيتها الّتي لا يمكن فصل مكانها ولا زمانها حتّى عن صاحبها، فالصّحراء هي رمز الصّراع الدّائم بين الانسان وقساوتها على مرّ العصور هي المكان الذي ارتبط في مخيّلة روضة الحاج بالسّودان والصّحراء الغربيّة والصّراعات العربيّة.

ثم تخرج بنا روضة الحاج من البحر الأصفر إلى البحر الأزرق ونهر النيل حيث تستعيرهما للتّعبير عن رغبتها الجامحة في الحرّية حيث تبحر دونما تأشيرة سفر حيث ترحل بفكرها تروي له حكاياها تبوح له بسرها عن حبّها المفقود وعن وطنها المعنّى.

**البحر:**

---

1- المصدر نفسه ص 30.
2- روضة الحاج، **في الساحل يعترف القلب** ، ص 16.

ذاك المعطى الهامّ من معطيات تكوين الوجود الإنسانيّ، له من التّأثير في حياة الإنسان ما يجعل منه ملجأ وراحة ،وسيلة للتعبير به وإليه، كيف لا وكلٌّ يراه متنفسه ونفسه الطّويل، وله دلالته الرّمزيّة الّتي تختلف من شاعر لآخر ،خاصّة مع شعراء العصر الحديث ، فهي مرتبطة بأبعاد قديمة وعلاقات حديثة "ولكن استخدام الشّاعر لها لن يكون له قوّة التّأثير الشّعريّ ما لم يحسن الشّاعر استغلال العلاقات والأبعاد القديمة لهذا الرّمز، وما لم يضف إلى ذلك أبعادًا جديدة هي من كشفه الخاصّ"[1]

وهذا ما يجعل روضة الحاجّ كغيرها من الشّعراء المحدثين، تحفل بهته التّحفة الرّبانيّة وتعبّر بها عن مكنوناتها ،كيف لا وهي ابنة السّودان حيث البّحر والنّهر حيث القارب المحمّل بركابه يغنّون وينشدّون فاتّخذ البحر عندها أشكالًا وصوًرا شعريّة مختلفة فنجدها تستدعيه لتصفه عنوانًا لقصيدة كاملة الموسومة "للبحر أغنية جديدة" حيث يرى الكثير منا أن البحر وأصوات أمواجه يشكّلون جوقا موسيقيا يعزف ألحانا تارة للخوف وأخرى للفرح يقول مطلعها:

**أنت والبحر وأضواء المدينة**

**المراكب والحقائب والحكايات الحزينة**

**وحديث الشّط للرّمل وسعادة وأسرار دفينة**[2]

معترفة بذلك أنّ هذا الثلاثي يشكّل عندها بهجة، فعشقها للحبيب والبحر وللمدينة يجعل تواجدهم ينتشلها من حافّة الموت البعيد إلى كنف الحياة. فنراها تطلب من صديقها أن يصاحب هذا البساط الأزرق، ويواصل التّحديق فيه ،مفضيا إليه بأسراره متدبرّا في خباياه ،خاصّة وأنّ وجه صديقها السّوداني يحملها نحو ذكريات جميلة حيث تاريخ وطنها الحبيب وجمال بحره الأسير ، ويذكّرها بقطعة من روحها وهي والدها.

**لا تفكّر**

**واصل التّحديق في البحر ودعني**

---

1- المصدر نفسه ، ص 10.
2- روضة الحاج، في **الساحل يعترف القلب**، م س، ص 10.

**وجهك التّاريخ والبحر**

**وبعض من أبي**[1]

والقلب تمزقه الغربة الحقيقية والغربة النفسية غير أنّ البحر حين تشتاقه تلقاه، لأنّه الأمل لا حدود له ولا جفاف ولا غياب.أمّا حبيبها إن اشتاقت إليه لم تجد إذ ذاك غير بحرٍ آخر، بحر دموع الاشتياق ولذلك نراها في قصيدة: "قال نسوة" تُعبّر عن حبيبها الّذي لا يشبه بداخلها أيّ حبيب ، إذ تعذر لأجله النّسوة إن قطعنّ أيديهنَّ ،كما فعلت النّسوة في قصَّة سيِّدنا يوسف، فتختزل الطّبيعة كلّها في نظرة من وإلى الحبيب ،حتّى البحر باتّساعه يحيلها إلى الحياة.

**وما درين أنّ لحظة من الصّفاء**

**قرب وجهك الحبيب**

**بانفعالك الحبيب**

**تقرّر النّدى**

**فتستجيب في ظهيرة النّهار.**

**تختصر الزّنابق والورود والعبير والبحار**

**تطير بي إلى مشارف الحياة**

وتستعير شاعرتنا البحر الأحمر والنّيل لتعترف في قصيدة "اعتراف" سائلة في الآن نفسه هذا الحبيب أو الوطن كيف رغم البعد برًا وبحرا لا يزال يسكنها ويصلها إحساسها به.لأنّ بعد البرّ قد يكون أقل قربا من بعد البحر .

**كيف اهتديت إلي كيف.**

**وبيننا بحران يصتخبان**

**والآلاف من الأميال صحراء وغابات وبيد**[2].

كما وظّفت مرادفات للبحر وألفاظ متعلقة به عبّرت بها عن أساها وحزنها وشوقها عن رحيلها وترحالها كالقارب والمراكب واليمّ والشطّ و المرفأ و الغريق.

---

1- المصدر نفسه، ص 14

2- روضة الحاج، **عش للقصيد**، ص24.

**كيف اصطبار القلب عنك وبالحنين قد اكتسى**

**بل كيف يبحر قارب**

**في اليمّ تاه وما رسى**

**تمضي غدًا وأظلّ وحدي كالغريق[1]**

وفي مقام آخر جاء ذكر للغرق والموج ومالهما من دلالات الضّياع والخوف من المجهول .كما أشارت إلى شطآن التّوحد حيث برّ التآخي بين السودانيين وبين العرب ككل .

**رغمي سأرحل**

**فاذكرني**

**ما تناهى الصّوت مني**

**كالغريق تردّد الأمواج صرخته**

**وحجزت تذكرة التّراجع**

**نحو شطآن التّوحد**

**لكنّهم**

**رفضوا جميع تذاكري**

**أنا ما تركت لمقبل الأيام شيئا إذ ظننتك آخر التّطواف في الدّنيا**

**فسرّحت المراكب كلّها ... وقصصت عن قلبي الجراح**

**والمدّ والجزر الهلاميّ الملامح**

**كم ترهق المحّار أجنحة الوصول**

**ويصطلي نار احتمال اللاَّوصول[2]**

**- النّهر:**

---

1- المصدر السابق، ص 38.
2- المصدر نفسه ، ص 25.

النّيل أيقونة مصر والسّودان، على ضفافه نسجت وسمعت الحجى، وفوق مراكبه انطلقت أشعار الدّوبيت، وقامت الحضارات وبنت الأمم عزّها وتاريخها، من مائه ارتوى الشّعراء ورووا تاريخ أرضهم ووطنهم، فلا تخلو قصائدهم من ذكره والتّغني به، واستعارته للتّعبير عن معانيهم الغزيرة ومشاعرهم العزيزة.

فها هي تسأل حبيبها ،كيف أنّه اكتسى حلّة وطنها فسكنها كما سكن وطنها وعبرت عنه أيضا أنّ الخرطوم هي النّيل. وأنّ ثورانه ترى فيه الحياة.

**لماذا ارتديت عيون بلادي**

**وخبأت نيلي في مقلتيك...**[1]

**تبت يد الخرطوم**

**لولم تحتويك مهابة**

**نيلاً وتاريخًا** ... [2]

**وحينما لاح النَّخيل**

**وحين ثار النيل**[3]

ويتنوع استخدام روضة الحاج للأمكنة المفتوحة، فتغوص في أعماق الطّبيعة تنهل منها كلّ ما هو من ألوان الفرح. كل ما بإمكانه أن يمنح الشّاعرة الحسّ بالأمل بالحريّة، تسبح بالقارئ فيسافر حيث سافرت في فضاء متخيّل أو حقيقيّ ، فقد وزّعت الأدوار على هاته الأمكنة الطبيعية ،لتؤدي وظيفتها في لوحة الغربة والشوق وذكريات الحنين:

**يا من سافرت للربوات ... والنّجمات**

**قتلت السّماء ... ونمت في صدر القمر**[4]

---

1- روضة الحاج ، عش للقصيد ، ص6.
2- روضة الحاج، **في الساحل يعترف القلب**، م س، ص5
3- روضة الحاج، **عش للقصيد**، ص 30.
4- روضة الحاج، **في الساحل يعترف القلب** ، ص07.

فها هي تنقلنا من المكان التّحتي، من الأرض إلى المكان الفوقيّ السّماء، فلم تُغفل جزءً في الطّبيعة، وارتحلت منه وإليه ما بين التّراب والنّجم والسّماء والقمر بحثا عن الحبيب الغائب والأمل المشرق بحثا عن عبق الوطن الغائر في متاهات الحروب.

**فأورق المكان حيث كنت جالسًا**

**وضجت الحياة حيث كنت ناظرًا**

**وأجهشت سحابة كانت تمرّ**

**في طريقها إلى البعيد**[1]

فجعلت السّحابة كائنا يحسّ بألمها وسجنها ،وتذرف دمعًا غزيراً على حال روضة ،وحال كلّ امرأة عاشقة للحبيب وللوطن. بل وتتمادى في وصف حبيبها بجماله وعطره الأخاذ ، حتى شبّهته بالمطر والحقول والظّلال وكيف أنّها ترى الطّبيعة رؤيا العين في خيالها حتى تلامس السّماء.

**بالأمس قد صافحت كفّك الرّحيب سيدي**

**والعطر والحقول والظلال في يدي ما تزال**

**عذرتهن سيدي**

**فما عرفن كيف أنّ صوتك المهيب**

**حين يجيء أسمع الحفيف والخرير**

**وألمس النّسيم والنّدى**

**وأصعد السّماء وألف مرة أطير**[2]

وتظلّ تناجي السّماء الغاضبة غضب الشّاعرة على محبوبها إذ ما عادت تراه وضاعت توقعاتها وآمالها سدى:

**كذبًا تراني أوثِّق الخوف المسافر**

**ينفلت ... والحزن يهطل مترفا**

---

1- المصدر نفسه ، ص12.
2- روضة الحاج، **في الساحل يعترف القلب** ص 13.

**وتضج أحزان السّماء**

**سيسوؤك قولي إن بدا**

**وتغور نجمات التّوقع في سماك**

**وتعصف الأجواء**[1]

وفي قصيدة "قسوة" تفقد روضة نظرتها الأولى للرّجل ،ذاك الملاك الّذي في لحظة ما يستحضر أصله الطّيني الصّلب فينهل منه قساوته وسطوته حين يتشكّل .

**أقسو علي**

**فقد يصدق قلبي المبهور**

**بالنّور الرّسولي الجميل على جبينك**

**أنّ بعض النور فيك**

**أنّ بعض النّار فيك**

**أنّ بعض الطّين فيك**

**أقسو علي**

**وردّني أنا قد جنحت**

**فخلت أنّك أوزريس**

**أين يحل تخضر الصّخور الصّم**[2]

ولكن قسوة هذا الرجل نفسها لم تمنعه أن يسمع اعتراف المرأة في صوت روضة الحاج ، وهي تعترف في قصيدة في السّاحل يعترف القلب ،أنّها من دونه أرضا خرابا باهته اللّون كالجرف الخالي الّذي لا حياة فيه إن غاب المطر. مطرُ الحبّ والأمل.

**وإنّي بغيرك يا رجلا يعتريني كحمى السّواحل**

**قاحلة كالبلاد الخراب**

**باهتة كالجروف اليباب**

---

1- المصدر نفسه ، ص 19.

2- روضة الحاج، **في الساحل يعترف القلب**، ، ص 26.

**ولا لون لي**

**ولا طعم لي**

**ورائحتي كالجروف الّتي لم يزرها المطر**[1]

وتنتفض الطّبيعة ، وتلفّ رداءها حول الشّاعرة ، تلامس روحها تسافر فيها بجمالها الأسير، يفضحها حبها وشوقها ،وتوقن أن لا مفرّ من حبيبها إلا إليه فالانسان مهما سافر وتغرب مآله إلى وطنه الأم إما عائدا للعيش فيه أو جثة تدفن في مقابره ، فشوقها غدا بركانا يختزل كلّ الألم ويرمي حمم الشّوق يحرق عالم الحبّ والمحبين.

**فأين سأهرب ممّا اعتقدت**

**وهذي القناعات تمتدّ حولي**

**كسور من العشب والفلّ والياسمين**

**يزيد يقيني في كلّ يوم**

**فزدني بربّك بعض اليقين**[2]

....

**شوق يصادر هذه الدنيا**

**ويختصر المسافة**

**ويشعل الأنحاء بركانا .**

**فيحترق اللّهب**

**شوق يلّح ولا يحاور**[3]

حاورت روضة الحاج الأماكن ومعها الغيم والعشب والّندى واستنطقتهم سائلة عن حبيبها.

**فحاورت الغيم اليقين والأنداء**

**والعشب الجميل**

---

1- المصدر نفسه ، ص 28.
2- روضة الحاج، **في الساحل يعترف القلب**، ، ص 30 .
3- روضة الحاج، **عش للقصيد** ، ص 21.

**أراك الغمامات بالحبّ تعود**

**تحدث وجهي ببوح الغمام**

**لكنّني من أجل وجهك يا صفيّ القلب**

**أعلنت الطوارئ يومها ...**[1]

وفي طريق زيارتها لدمشق ،عبّرت عن جمال المناظر فيها وطبيعتها الخلابة الّتي تبكيها ضمنيا، لما حلّ بها من دمار بعد الحروب، فتذكّرت ما رأت وتبكي خيالا ما افتقدت، من بهجة دمشقيّة كانت تُرى وتحُسّ وهي تحتضن كلّ زائر عربيّ لها.

**خبؤني في طلال السّرو**

**والحور قليلا**

**آه من نفح الهجير ...**

**وتراءت لي على (بردى) سهول**

**وحقولٌ وقصورٌ وخيام**

**السّهول اشتعلت حسنا**

**وضجّت بالجمال**[2]

عشق روضة الحاج للطّبيعة جعلها تتماهى فيها فروَّضتها، أيّ روضة خلقتها روضة الحاج وهي تجوب الطّبيعة وتستنطقها لينصهر فيها السّامع أو القارئ ، طوّعت الأمكن وجعلتها رهن إشارتها فحاورتها ووظفتها لتخدم إحساسها وحالتها النفسية والاجتماعية والسياسية "وهكذا يتحوّل الرّحيل عبر المسافات الطّويلة طقسا يوميّا في حياة الشّاعر، تلك الحالة منحت للمكان شعريّة متحرّكة عبر علاقات جماليّة تختصّ بالطّبيعة ومفرداتها من ألوان وأصوات وروائح".[3]

**2- المكان المغلق:**

---

1- المصدر السابق، ص 26.
2- روضة الحاج، **مدن المنافي** ، ص 21.
3- رضوان محمد، **ملكة الحجم دراسة في الشعر العربي المعاصر**، الحكاية أنموذجا، 2001، دار المنشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص69.

**- البيت:**

سبق وصفه من قبل غالب هلسا على أنّه الحماية والأمان **إذ يقول غاستون باشلار** " البيت هو ركننا في العالم إنّه كما قيل مرارا كوننا الأولّ والحقيقيّ، بكل ما للكلمة من معنى.... وبهذا لو طلب إلي أن أذكر الفائدة الرئيسيّة للبيت ، لقلت البيت يحمي أحلام اليقظة ،و يتيح للإنسان أن يحلم بهدوء".[1]

وظّفته روضة الحاج للتّعبير عن السّكن والراحة ، حيث استعارت بيوت الطّيور والحمام، لتعبّر عن الرّحيل والعودة فتخبر الحبيب الصّديق أنّها انتظرته ليعود كما كان سابقا عند عودة الطّيور لبيوتها ،لكنه ما عاد رغم عودة الحمام إلى عشّه النّدي:

**قد كنت تأتي حين ترتاد الطّيور بيوتها**

**وتغطّ في نوم عميق ....**

**واليوم**

**عادت للبيوت السّاجعات**

**وودع الصّبح المساء**

**وضجّ بالشّوق الفؤاد**

**وما رجعت**

**أيا صديق**[2]

كما عبرّت في موضوع آخر عن شوقها لابنها محمد ، فتناجيه أن يعود ويملأ البيت حبورا وشقاوة تسعد قلبها المكلوم ،فتصف كيف كان يحوم حولها في فضاء البيت كلّه واصفة الأجواء في ذلك الحيّز الجميل .حيث الذكرى والاحتواء ودفء الأمومة .

**در في فضاء البيت**

**دع فكّي يدور**

**قل لي محمد**

**كيف يبدو البيت بعدي في المساء**

---

1- غاستون باشلار، **جماليات المكان** ، ص37.
2- روضة الحاج، **مدن المنافي** ، ص19.

**الشّتاء والتّلفاز والضوضاء**

**والضّحى الجميل**

**وأنت تصطنع البكاء**[1]

كما تشير في مقطع آخر من قصائدها إلى خاصية البيت وهي الاحتواء حيث يجد الشاعر متنفسه ليطلق العنان لقريحته الشّعرية مستلهما من كل ركن فيه ذكرى سعيدة او مؤلمة .

**عش للقصيد يزور بيتك رائعا**

**مثل القمر**

**ودع التّرحل في حروب الشّوق**

**درب الشّوق يا قلبي وعر**[2]

**- القبر:**

يشكّل القبر نقطة نهاية ؛ يعود بها الإنسان إلى أصله الطّينيّ ، بل نقطة اتّحاد الجسم مع الأرض، منفى جبريّ يشترك فيه كلّ النّاس قسرا لا اختيارا مساحته محدودة وعتمته موحشة مرعبة، فضاء يفصل المرء عن عالمه الخارجيّ، ومَعْبَرٌ إلى الحياة الأخرى.

وقد استعارت روضة الحاج كما فعل غيرها من الشّعراء المعاصرين هذا المكان للتعبير عن مكوناتها، فجعلته مرفأ لأمنياتها بعودة حبيبها فتقول في قصيدتها "على الرّغم منّي":

**على الرّغم مني**

**أفتّش فيك بأمكنة لم أزرها**

**وأعرف أني سألقاك لو عدت**

**لكن ألبي نداء السّهول وأمضي**

**بعيدا بعيدا**

**لمقبرة الأمنيات**[3]

---

1- المصدر نفسه ، ص 24.
2- روضة الحاج، **عش للقصيد** ، ص 2.
3- روضة الحاج ، **للحلم جناح واحد** ، ص 20.

وتردف بعدها في قصيدة "غرباء" من نفس الديوان ، أنّ حبيبها قد عاد من بين كلّ آلامها من بين آهات صدرها المحترق من كثرة الصّبر والجوى ، من ألم البعد والصّمت الرّهيب لدول العالم والدّول العربيّة حيال قضيتها .

**ثم بين ركام الصّمت في قبري**

**ومن بين حريق الصّبر صبري**

**ومن بيني كما الفينيق حبت**

**صادقا مثل ضميري...**[1]

وفي القصيدة وجع المسافات الشّجن ، ترى روضة الحاجّ أنّ الحياة قد انتهت، وأنّ كلّ جميل قد غادر حياتها وأحاط بها سكون وصمت المقابر ،وفي موضع آخر تشبه روضة الحاج كفي حبيبها الغائب بقبر الحبيب المصطفى لطهره ونقائه.

**خذني إلى كفيك**

**أطهر بقعتين ذكرت حين أتيتها**

**قبر الحبيب وباحة البيت العتيق**[2]

**- السّجن:**

تكاد لا تخلو قصيدة من قصائد الشّعراء من ذكرٍ لهذا المكان كلّه ، النّقطة الفاصلة بين الحريّة والعزلة، انتقال من الدّاخل إلى الخارج ومن العالم إلى الذّات ، بالنّسبة للنّزيل بمّا يتضمّنه ذلك الانتقال من تحوّل في القيم والعادات وإثقال كاهله بالإلزامات والمحظورات".[3]

قد يكون تعبير الشّعراء عنه كمكان حقيقيّ ، خاصّة في الثّوريّ منه وقد يكون مكانا متخيّلا يغلق فيه الشّاعر على معاناته ومقاومته للذّات وللآخر ،وقد حدت روضة الحاج حدو غيرها خاصّة مع المعاناة الّتي عاشتها وعاشها بلدها السّودان. ففي قصيدتها "أغنيات بحّار قديم" تشير الشّاعرة في الأغنية الثّالثة إلى قصّة سيّدنا يوسف وكيف تعرض للسّجن ظلما لكنّها تحبذ سجن العذاب بظروفه أفضل من العذاب الّذي يسببه لها الفقد والغياب، حيث تقول:

---

1- المصدر السابق، ص 22.
2- روضة الحاج، **في الساحل يعترف لقلب** ، ص 16.
3- سيزا قاسم، **بنية الرواية**، ص 66.

**هذا قميص هواك**

**قدّ الآن من قبل ومن دبر ومن كلّ اتجاه**

**فلمن ستحتكم الغداة**

**وليس تملك من دليل النّجاة**

**سجن العذاب أحب لي**

**يا صاحبي الحياة**[1]

وفي قصيدة وجع المسافات الشّجن، تعلن بل تحترق وهي تعبّر عن رحيل حبيبها أنّه حين غادر لم يعد للحياة طعم ، حتّى تساوت الأشياء عندها، وغدت بعده معالم الفضاءات الرّحبة حولها سجونا.

**وأنا بعيدك من أكون**

**تتشابه الأشياء عندي**

**تنمحي كلّ المعالم**

**تستحيل إلى سجون**[2]

كما أشارت روضة الحاج في مقاطع أخرى، إشارة خفيفة إلى بعض الأماكن المغلقة كالسّرداب والقبو والكهف بوحشيتها وظلمتها وضيقها. وكذا خدر النّساء دليل العفاف والشّرف للمرأة العربيّة وكيف انتهك.

ففي قصيدة خذني إليك تقول:

**وسيعرف النّاس الذي أخفيه**

**يا قلة عندي بآلاف البشر**

**فأظل أقبع في السّراديب العميقة**[3]

جعلت الحياة كلها كهفا مظلما بآلام وأحزان صاحبه في قولها:

**يا أنت يا هذا الذي**

---

1- روضة الحاج، **مدن المنافي**، م س، ص 41.
2- المصدر نفسه ، ص 14.
3- روضة الحاج، **في الساحل يعترف القلب**، م س، ص 17.

**أخفيه في كهف الحياة بمهجتي**[1]

واختارت تعبيرا آخر عن الضيق والألم وجعلت المكان خندقا حين عبّرت عن صدر والد محمّد الذّرة شبّهته بالخندق الّذي يحتوي الثّوار حال اختبائهم، أوسيرهم نحو العدوّ كما في غزوة الخندق.

**فصدره**

**قد خان ساعة أن أراد بأن يكون مدينة**

**لم يعرف الطّلقات بعد**

**وخندقا يحنو على الثّوار**

**يمنحهم أمان دقيقتين وجرعة أمنيات**[2]

وبعد ذكرنا لكلّ هاته الأماكن المفتوحة والمغلقة ، يجدر بنا الإشارة إلى أنّ الملاحظ على شعر روضة والانطلاق والحريّة ، ممّا جعل المكان المفتوح يلقى لنفسه الطّريق المعبد للانصهار مع شخصيتها ومع نفسها الطّامحة الحالمة ،كيف لا وهي الشّاعرة المحافظة المتمرّدة وكلّ متمرّد لابد له من فضاء رحب ، يبحث فيه عن ذاته ويبحث فيه عن غده ومستقبله المشرق.

**ـ القطار، المطار، المحطّة:**

**القطار :**

تكثر في الشّعر العربيّ المعاصر هته الألفاظ المعبرة عن التّرحال والتّنقل، وتعني التّغيير في الحياة، أيّ شخص يرغب بغدٍ أفضل أو واقع أجمل ، خاصّة إذا تعلّق الأمر بالسّودان وأهله ، فقد عرفت المنطقة مصر والسّودان باستخدامهم للقطار كوسيلة للتّنقل من آلاف السنين ، ولذلك يكثر استخدامهم لها في شعرهم وتعبيرهم عنها مثلما يكثر معها استخدام نقطة المحطّة الّتي تشيد غالبا بالتغيير والاستمراريّة وعدم الثّبوت بل استعيرت أصلا للتّعبير عن مراحل الحياة وأهمّ اللّحظات والإنجازات فيها.

---

1- المصدر نفسه ، ص23.
2- روضة الحاج، **للحلم جناح واحد**، م س، ص26.

ولذلك فإنّ روضة الحاج لم تغفل هته الأماكن ،بل وظّفتها بشكلٍ جميلٍ يدعو إلى الوقفة والتّأمل، فرسمت بها مشاهد خياليَّة ترسل القارئ في جوٍّ من الشَّاعرية، ليدخل عالمها الفنيّ والشّعري ويعيش معها ألمها وحزنها برحيلها عن بلدها.

ففي ديوانها مدن المنافي تعنون روضة الحاج قصيدتها بـ "المقعد العشرون" تخبر فيها حبيبها أنّها راحلة تستعمل القطار وتحتلّ المقعد العشرين جسدا بلا روح ألما وحسرة بفعل الارتحال.

**يا سيّدي**

**في الصبح يوم غد**

**سيرتحل القطار**

**في المقعد العشرين**

**سوف تكون امرأة بلا قلب**

**ولا وجه يغالبها الدّوار....**[1]

وتكرّر قولها مؤكّدة طول الرّحلة ، فرحلة المنفى تطول فمن يغادر وطنه يحس بطول المسافة نظرا لإحساسه الصّعب كأنّه يقتلع من جذوره

**يا سيّدي**

**في الصّبح يوم غد**

**سيرتحل القطار**

**ستطول رحلته بطول مشقّتي**

**عشرين عاما من حنين**

**واشتياق وانتظار**[2]

وهي أولّ رحلة"تحسّ فيها الشّاعرة بالألم لأنها أوّل مرّة تبتعد فيها عن الحبيب حتّى أنّ كلّ من بالمحطة قد لاحظ غياب نصفها الثّاني للمرّة الأولى:

**شاهد كلّ روّاد المحطّة**

---

1- روضة الحاج، **مدن المنافي** ، ص 8.
2- المصدر السابق، ص 9

## فصل ثان

**نصف سيّدة تجيء إلى القطار**

**في المقعد العشرين تهوي**

**كوم حزن ... واحتياج**

**واشتياق ... وانتظار!!**[1]

القطار هذا المكان المغلق نسبيًا سقفه ومقاعده ونوافذه ، هذا المكان المفتوح معنويًا يحمل راكبيه نحو أفق أرحب ،يسافر بهم كلّ حسب حاجته حاملا أمانيهم وتطلّعاتهم وتطلّعات بلدانهم.

وتعود لتعترف للحبيب أنّها بعد هذا الغياب نيست اسمه، وضيّعت وجهه إذ رحل بها القطار قطار المحطة أو قطار العمر.

**وأنا أتيتك أعترف**

**نسى المسافر اسمك المكتوب بالنسيان**

**إذ رحل القطار**

**وأضاع وجهك**

**عند ذاك اليوم في ذاك النهار**[2]

- **المحطّة والمطار:** مكان هندسيّ ومعنوي فضاء ترتقي فيه الكلمات وتتوقف الحياة وتنطلق، مكان يحمل معه حكايا وروايات تحمل هموما وقضايا اجتماعيّة وسياسيّة تسافر بنا فيه روضة الحاج في منفاها المؤلم ، تشبه عند تمثيلها مشهدًا في رواية أو فيلما رومنسيًا أو سياسيًا ، تظهر فيه الشّاعرة كأيّ امرأة عربيّة مثّقفة ترحل إلى منافٍ عدّة لا تدرك ما ينتظرها، ولا يحتويها عمق المشهد وقساوته ، فتعلن أنّها لن تسافر ولن ترحل وحّبها يفضحها ويسكنها في كلّ محطة وكلّ مطار فيبدو عليها حنينها لوطنها .

**أنا لن أسافر مرة أخرى**

**..... ويفضحني الشّرود**

---

1- المصدر نفسه، ص 10.
2- روضة الحاج، **عش للقصيد** ، ص 20.

**أنا لن أحاول حيلة أخرى**

**ومع رجل يغافل كلّ ضبّاط المطارات القصيّة**

**والمحطّات القريبة والبعيدة**

**عابرا متجاوزا كلّ الحدود**[1]

وهي مع كلّ هذا التّرحال وهذا السّفر ،كانت تسعى لتواري ألما وحزنا حملته معها من بلدها، لكنّه ورغم مرور السّنين ظلّ يسكنها بل حيث تحل تأخذه بداخلها .

**عامنا الرّابع آب**

**والّذي حبّنا نواريه سويا**

**في المطارات البعيدات انكأ حزنا**

**على باب العذاب**[2]

وقد استخدمت المطارات للدّلالة على السّفر البعيد من بلاد لأخرى ،حيث يختلف النّاس عن النّاس ،ولا أهل ولا خلّ ولا أصحاب ،حتى أنّها عنونت إحدى قصائدها بـ مطارت المنى الممراح في إشارة منها إلى رحلتها إلى دمشق حيث الأراضي (الحقيقية او المتخيّلة) الممراح ،الخصبة النّبات حيث يزرع المنى والأمل حيث يسافر الشّوق بأهله إلى غدٍ عربيٍّ مشرقٍ وواقعٍ جديدٍ.

كما وظّفت الشّاعرة نوعا آخر من المحطّات، وهو المرفأ إذ تنفي عن حبيبها أن تعتبره فقط محطّة عابرة في حياتها ،ترسو بها سفينة حبّها لتنطلق مرةً أخرى.والمرفأ دائما هو محطّة راحة وعودة .

**محال علي اعتبارك مرفأ**

**وصعب علي اجتياز خطاك**

**فأنت العبير الذي في يدي**

---

1- المصدر السابق، ص 24.
2- المصدر نفسه، ص 42.

**ووجه يظل هنا وهناك**[1]

والشّاعرة ملّت الأغلال الثّقافية والسّياسية، المكبلة لإبداع الشّاعر الفنّان كما ابتعدت كلّ البعد عن توظيف المكان المغلق بل يكاد يعدّ توظيفها له على الأصابع مقارنة بتوظيفها للمفتوح فاستلهمت الاتسّاع والفضاء الواسع من شساعة السّودان وتنوعه الفكريّ والثّقافيّ كما سبق وأن ذكرنا في حديثنا عنه.

لأنّ توظيف المكان المغلق في الشّعر، يميل بنا إلى الرّمزية والفلسفة الشّعرية، التي تفقده معناه فيعطينا صورة جميلة دون روح. فمالت روضة الحاج إلى البساطة واستعارت المعنى الحقيقي للتّعبير عن همومها وآلامها وآمالها.

كما تجدر بنا الإشارة إلى أنّ توظيفها لبعض الأمكنة المتخيّلة ،كالجنّة الّتي لا عين رأتها ،لكنّها عنوان للأمل والفرح والنّصرة والخلاص والطّبيعة الغنّاء ،وأيضا القلب والفؤاد والعينين والصّدر كلّها أماكن غير حقيقيّة لا حدود ولا شكل لها بل هي مستقرّ مشاعر الشّاعر وعنفوانه. وقد وردت في أغلب دواوين الشّاعرة لا تكاد تخلو منها قصيدة.

## 2- أبعاد ودلالات المكان في شعر روضة الحاج:

### 2-1-البعد و الدّلالة النفسيّة:

تعتبر الدّلالة النّفسية من أهم الدّلالات الّتي ترتبط بالمكان "الإحساس بالمكان إحساس له أصالته فهو هويّة تاريخيّة و وطنيّة ونفسيّة "[2] .

لقد كان للمكان في شعر روضة الحاج أثره النّفسي البالغ ،فهو نابع من ذات متألمة من وضع ظلّ يؤرقها ويؤرق أهل السّودان عامّة وهو الانقسام الحاصل فيه، كما نلمس ذلك من خلال الأمكنة الّتي ذكرتها والعواصم الّتي بكت حالها وحزنها على حال الأمّة العربيّة ، بل وصل إحساسها حدّ اليأس والانكسار من تقاعس العرب وخذلانهم لبعضهم البعض وتخليهم عن قضيتهم الأم فلسطين، وعن وحدتهم العربيّة وانقيادهم وراء الغرب وانصياعهم لقوانين هيئة الأمم المتّحدة الظّالمة المؤيّدة لإسرائيل والعدوّ الصهيونيّ حتّى خاطبتهم في قصيدتها الّتي

---

1- روضة الحاج، **مدن المنافي**، ، ص06.
2- بسام علي وبشير، **جماليات المكان في رواية باب السّاحة لسحر خليفة**، ص 35

جعلتها على لسان الشّهيدة وفاء إدريس الّتي تطلب من مجلس الأمن وهيئة الأمم أن لا يوقعوا ولا يفاوضوا ولا يقايضوا على وطنها القدس.

**ولتسألوا الصّغير من صغارنا**

**يجيبكم**

**القدس أو مماتنا خيارنا**

**وقبل أن تحاوروا**

**أقولها لكم للآن لم أزل أرقب الفضاء في انتظار وعدكم**

**أن تفسحوا الطّريق للمطر**

**ليغسل الجراح والدموع والدماء عن مدينة السلام**

**أن تصمتوا لينطق الكلام**

**أن تبحثوا عن وجه أمي الرهين بالجليل**

**أن تشكروا الحزن على الوفاء**

**أن تعلنوا الحداد في مدائن العدم**[1]

مقطوعة كلها ألم وحزن ، تصوّر حزن كلّ أمّ فلسطينيّة على فقيدها على شهداء الواجب الفلسطينيّ، كما تصوّرت روضة الحاج روح أبيها معلّقة كروح المسيح بقبّة المسجد الأقصى، كما أنّ حزنها على الشّهيدة هو حزن القدس قاطبة حتى أعلن الحداد في كلّ المدائن حزنا وأسى على فلسطين ،حتى دعتهم للتّجوال في ربوعها جنوبا وشمالا ،ليعرفوا أنّ الحياة لم تعد حياة وأنّ البكاء والنحيب هو الصوت البديل لصوت الغناء زمن الحصاد، لدرجة تشبيهها للمَزارعِ بالإنسان الّذي يستوحش الشّخص الغريب عنه .

**تفرّسوا الطريق مرتين**

---

1- روضة الحاج، **للحلم جناح واحد** ، ص 6.

**إلى الجنوب مرة ومرة إلى الشمال**

**مزارعا تستوحش الغريب**

**لا الكفّ كفّ من يحبها ولا العرق**

**تتوق للغناء موسم الحصاد**

**وللنّساء جئن بالغذاء ساعة النّهار**

**وقيل أن تفاوضوا**

**فلتشهدوا البكاء من بكاء حائط البراق**

**ولتسمعوا النّخلات ينتحبن في العراق**[1]

يعبّر الشّعر العربيّ المعاصر عن مكبوتات نفسية، وانفعالات نتيجة لتنبيهات مختلفة، يتخلّلها شكل من أشكال الانطواء والتقوقع المفضي إلى تفجير هذا التّفاعل[2].

ولأجل هذا يظل الأسى والحزن رفيقهم الدّائم كما هو الحال مع الّشاعرة فقد فقدت القلب المحبّ والصّاحب المـُطيِّب للجروح فقدت صديقتها ليلى فما عاد للسّودان حسنٌ ولا عاد بالمكان حياة.

**أأعود ؟**

**كيف تصوّر السّودان دونك**

**آه يا ليلاي كيف**

**يا حسن وجهك**

**مثل (أم درمان) حفت للطّريق بشاشة**

**إن قيل في الركبان ضيف**

**كم كنت تحتفلين بالوطن النّبيل**

---

1- المصدر السابق ، ص8.

2- طيب حمايد ، **شعرية المكان في الشّعر العربي المعاصر قراءة في شعر محمود درويش وسميح القاسم**، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربيّ السّنة الجامعيّة 2017-2018، ص68.

**أأرجع ؟**

**لست بالسّودان يا ليلى**

**فمن لي صاحبا**

**آوي إليه بالجراح ؟**[1]

لتعلن بعدها صرخةً من أعماق مرارة الأسى على ما أصاب محمّد الدّرة وغيره من أطفال الحجارة صرخة تخرج من رحم القذائف التّي ترسلها كتائب القسّام وحزب الله وتدعو كلّ ركن في فلسطين لينتفض:

**مليون ألف قذيفة**

**تسم العدوّ ومرارة**

**وتصيح يا "حطّين" يا يرموك" يا "قدس العروج"**

**ويا صلاح الدّين قم**

**يا مسجدا أرسى قواعده عمر**[2]

كما لمسنا أيضا ذاك الإحساس بالفقد والغياب ، والنّفسية المحطّمة لروضة الحاج إثر المنفى المعنويّ والمنفى الحقيقيّ إحساس لازمها لبعدها عن وطنها حتّى أسمت ديوانها بمدن "المنافي" وفي ذات الوقت بعدها عن الحبيب واشتياقها له وقد سبق ذكر هذا في وصف الأماكن.

**2-2-البعد الاجتماعيّ والثّقافي:**

الإنسان مرتبط بالمكان منذ ولادته فهو ابن بيئته يمكن القول أنّ المكان وإدراكه له يختلفان عن خبرته وإدراكه للزّمان، فبينما يدرك الزّمان إدراكًا غير مباشرٍ من خلال فعلته في الأشياء

---

1- روضة الحاج، **للحلم جناح واحد** ص 11.
2- المصدر السابق، ص25

فإنّ المكان يدرك إدراكا حسّيا مباشرا، يبدأ بخبرة الإنسان لجسده هذا هو -المكان- أو لنقل بعبارة أخرى مكمن القوى النّفسيّة والعقليّة والعاطفيّة والحيوانيّة للكائن الحيّ[1].

كل مكان عبّر عنه الشّعر العربيّ القديم أو المعاصر ، إلّا وكان مرتبطًا بالأفراد الّذين يجعلون لهذا المكان معنى ويبثّون فيه الحياة ،وفق العلاقات الاجتماعيّة الّتي تحكم عيشهم ، ولعلّ أهم ملكة اجتماعيّة جُبل عليها الانسان هي حبّ السّفر والتّرحال خاصّة ماكان طوعًا لا كراهة، والّذي يبنى على إثره علاقات جديدة وصداقات وحبّ قد يغيّر الحياة ويعطيها طعما جديدًا ،كما حصل مع روضة الحاج الّتي غادرت السّودان لتعيش بالقاهرة لكنّ عشقها الخالد لبلدها الأمّ جعلها تسعد بجديدها وتبكي قديمها تشتاق وتحنّ لأهله للأماكن الّتي تذكّرها بالحبيب حتى غدت تتمنّى لقياه كما سبق:

**واحتجت أن ألقاك**

**حين تربّع الشّوق المسافر واستراح**

**وطفقت أبحث عنك**

**في مدن المنافي السّافرات[2]**

فالسّودان بموروثه الاجتماعيّ كما سبق الذّكر بلد اللّغات المتعدّدة والأعراق المتنوّعة ،بلد شاسع المساحة غني بالأدباء والشّعراء ، بلد قامت على ضفافه الحضارات لذا فعلاقة الشّاعرة بمن حولها علاقة انصهار بالمكان، يتلون بتلوّن الحدث ويؤثر في سلوك الأشخاص ويوجه تصرفّاتهم، فكان لتناول روضة الحاج للمكان في شعرها وقع على القارئ بفضل طبعها المحافظ وأخلاقها ورقيّ شعرها حتّى عن الحبيب، شعرٌ عفيفٌ كلهُ شوقٌ وألمٌ ورغبة في اللّقاء والسّعادة بحضور الحبيب:

**أيّ سحر حين تأتي**

**يلمس الأشياء حولي**

**يدهش الأشياء بي**

---

1- **بوري لوتمان مشكلة المكان ، ت، سيزا قاسم** ، ص59.
2- روضة الحاج، **مدن المنافي** ، ص01.

**أنت والبحر حبيبان إلى قلب غريب** [1]

**خدني إلى عينيك**

**أجمل واحتين عرفت حين دخلتها لغة الرحيق**[2]

كما نلمس من خلال قصيدتها بلاغ امرأة عربية، تخليدها وإصرارها على التّذكير بقيمة اجتماعية مهمّة، وهي طهر وعفاف الأسر العربيّة وعدم انكشاف المرأة على الغريب حين أشارت بذكاء إلى انكشاف عورة العرب في المرأة الّتي تسقط عنها النّصيف:

**الله من هذا النّصيف لقد سقط**

**أنا لم أرد اسقاطه**

**لكنما كفي إلى عنقي**

**ولا أدري طريقا للخروج**[3]

كما لمسنا عند روضة الحاج من خلال ذكر بعض الأماكن، سعيها لنشر ثقافة الحبّ والتّسامح بين المسلمين والمسيحيين ،من خلال ذكر القدس والمدائن وروح عيسى المعلّقة ضمنيا حين تذكر روح والد وفاء المقدسي وقد سبق ذكر ذلك.

وقد لجأت إلى استخدام الرّمز المخفيّ ، في عرضها لقضية الصّراع الخالد الّذي لا ينتهي والخصومة الجميلة بين الرجلّ والمرأة ، بين نسق الذّكورة ونسق الأنوثة مشيرة إلى أنّ زمن حرمان المرأة من حقّها في التّعبير عن ذاتها في الإفصاح عن فنّها وإبداعها دون تردّد ودون خوف قد ولّى ،مع المحافظة على أخلاق العرب والإسلام مع اعتراف بالمقابل بخاصية اجتماعيّة أخرى وفطرة إلهية وهي علاقة كليهما الّتي لا تكتمل إلا بالآخر فهي تقول موظّفة العام بفصوله:

**عام مضى**

**بخريفه وبصيفه كلّ الفصول**

---

1- روضة الحاج، **في الساحل يعترف القلب**، ص 10.
2- روضة الحاج، **للحلم جناح واحد** ، ص 16.
3- روضة الحاج، **عش للقصيد**، ص34.

**لكنني من أجل وجهك يا حفي القلب**

**أعلنت الطوارئ يومها صيفا**

**فحاورت الغيوم البيض والأنداء والعشب**[1]

وفي قصيدة قال نسوة: عذرت كلّ النّساء مطالبة إياهن ضمنيا بالتّعبير عن مشاعرهن، كما تعذرُ نفسها حين تعبّر عن حبيبها وعدم قدرتها على العيش دونه، فحتّى الأماكن قد وافقنها ووقّعن القبول بحبها.

**لو أنّهن سيدي وجدن ما وجدت حين سرحت يومها**

**فأورق المكان حيث كنت جالسا**

**وضجّت الحياة حيث كنت ناظرا**

**وأجهشت سحابة كانت تمر**

**في طريقها إلى البعيد** [2]

**2-3-البعد السّياسيّ الوطني :**

تربط الشّاعر علاقةٌ وطيدةٌ بوطنه الّذي يقدسّه ويحنّ ويشتاق إليه "الحنين إلى الوطن والبكاء على فراقه ظاهرة انسانيةٌ عامّةٌ، لا يستطيع المرء التَّخلي عنها، مهما بلغ تطوُّره الحضاريُّ ورقيُّه الماديُّ وسموُّه الرُّوحي، ومنذ أن وَجدَ الإنسانُ نفسَه في وطن من أهل و أصحاب، آباء وأبناء شعر بقوّة الرّابطة الّتي تربطهم ،وبهذه البلاد الّتي شهدت خلقه وحياته وكانت مسرحا لمراحل نموّه الجسديّ والنّفسيّ والعاطفيّ والفكريّ[3].

أي بعد يحمله شعرك يا روضةَ الأمّة العربيّة؟ تحملين همّها وتحلمين بوطن عربيّ تنتمين إليه جسدا وروحا علاقتك بالمكان علاقة عشق أزلي، عند القراءة والتّمعن بقصائدها تحسّها شاعرة عربيّة تنتمي للوطن العربيّ أكثر من انتمائها لبلد واحد، فنراها في قصيدة بلاغ امرأة عربيّة تجول عواصم العرب ذات التّاريخ الأصيل وكأنهّا جزء منها فلم تترك لا القدس ولا

---

1- المصدر السابق، ص 26.
2- روضة الحاج، **في الساحل يعترف القلب** ، ص 12.
3- محمد موسى البلولة الزّين، **الاغتراب والحبّ في الشّعر المهجريّ**، رسالة دكتوراه، جامعة الخرطوم، 2010، ص256.

الجليل ولا سبأ ولا مأرب ..... تراها في مواضع أخرى سوريّة تعشق دمشق في قصيدة مطارات المنى الممراح وتقرأ لها في قصيدتها (من وفاء إدريس... إلى مؤتمر القمّة العربيّة).

**وقبل أن توقعوا**

**وقبل أن تفاوضوا**

**تقبّلوا دمي جرى على الطّريق حائرا غريب**

**تقبّلوا مشاعري دفيئة كأنّها الوطن**

**فلتشهدوا البكاء من بكاء حائط البراق**

**ولتسمعوا النّخلات ينتحبن في العراق**[1]

ونلمح أيضا نوعا آخر من المكان في شعرها هو المكان الثّوريّ المتّقد ،ممّا يجعلها في صدارة قائمة شاعرات العروبة والثّورة اللّواتي نذرن قلمهن وقصيدهن ،لكشف مصائب الأمم العربيّة ومعالجتها ،وممن صدحن بصوتهن رافضات للذلّ والهوان العربيّ فهي الّتي تناشد الخنساء أن تبكي على كلّ شبر عربيّ على كلّ أخ عربيّ ،كما بكت شعرا على محمّد الدّرة صرخت مستحضرة الخنساء من ماضيها فتقول:

**وطرقت بابك يا خنساء بابك مرة أخرى**

**وألقيت السّلام**

**ردّي على تحيتي**

**قولي**

**فإني لم أعد أقوى على نار الكلام**

**فلقد بكيت خنساء صخرا واحد**

**والآن تبكي ألف صخر كل عام**

**حزني على بغداد أم**

**حزني على بيروت أم**

---

1- روضة الحاج، **للحلم جناح واحد**، ص 7.

**حزني على الجولان أم**

**حزني على الخرطوم أم**

**حزن على القدس المضرّج بالنّجيع**

**وقبلة البيت الحرام[1]**

## 2-4-البعد التّاريخي والدّيني :

إن المتمعّن في شعر روضة الحاج ،سيكتشف ذلك التوّاصل الروحيّ الدّيني والتّاريخي، دأبها دأب كل الشّعراء العرب المعاصرين، فلا حاضر لشاعر أو أديب دون تشبثه بماضيه وتاريخه، وليس المقصود بذلك التأريخ للأحداث وذكرها، إنما اسقاط هذا التاريخ على الحاضر المؤلم الذي تعانيه الأمة العربية ،فتلتحم اللغة مع التّاريخ والديّن وما حاجة روضة الحاج لذلك، إلا بدعوى البحث عن هويتها العربية الإسلامية وتعميق الاحساس بضياع الوطن والغربة عنه، فاستحضرت الأماكن التّاريخية فهاهي الشّاعرة تبكي دمشقا الجريحة وتنادي مروانها لاسترجاع بطولات الأمويين فيها.

**وتراءت لي على بردى سهول**

**وحقول وقصور وخيام**

**لاح لي مروان يسعى**

**وتوهّمت هشام[2]**

كما استدعى حديثها عن المنفى استحضار الحادثة الدّينيّة ،حادثة إخراج قريش للرّسول صلى الله عليه وسلم حين تنبأ له بها ورقة ابن نوفل.

**أو مخرجي**

**نعم رسول الله**

**يخرجك الّذين تحبذهم**

**فردا تهوم قسرا في الفلاة وفي الدّروب وفي الشّعاب[1]**

---

1- روضة الحاج، **للحلم جناح واحد** ، ص 37.
2- روضة الحاج، **مدن لمنافي** ، ص21.

فعبارة أو مخرجي حين أخبره الرسول بنزول الوحي عليه قال له ورقة: هذا الناموس الّذي كان ينزل على موسى يا ليتني فيها، ليتني أكون حيّا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم؟ فقال نعم.

وفي ذكر روضة الحاج لسدرة المنتهى ،كان القصد من ذلك هو التّعبير لتعبر عن منتهى الشّيء وآخر جميل فيه.

**كلما لاقين وهنا قلت جلّق منتهاها**

**سدرة الحسن المثير**

**أهمسوا جهرا بأنا قد وصلناها دمشقا**

**وأجبروا قلبا كسير**[2]

وأيضا في قصيدة:

**يا أنت**

**يا حقلا من الأشواق والأطفال والألوان**

**والسّلوى وسدرة منتهى الأشواق**[3]

هنا اقتباس من القرآن الكريم من سورة النّجم ﴿**عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى**﴾ **(سورة النجم الآية 14)** دلالة على تشبّع الشّاعرة بالثّقافة الدّينية أيضا استحضار لقصة سيّدنا يوسف عن البضاعة الّتي ردّت إليه وذلك في قصيدة في موسم المدّجزر جديد:

**فأردد إلي بضاعتي**

**بغي انصرافك لم يزل**

**يدمي جبين تكبري زيفا**[4]

---

1- المصدر السابق ، ص 30.
2- المصدر نفسه ، ص 20.
3- روضة الحاج، **للحلم جناح واحد** ، ص 24.
4- روضة الحاج، **عش للقصيد** ، ص6.

## فصل ثان

جاء في القرآن الكريم: ﴿**ولمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ**﴾ **(سورة يوسف، الآية 65)**

وتقول أيضا:

**هذا قميص هواك**

**قدّ الآن من قبل ومن دبر ومن كلّ إتجاه**

**فلمن ستحتكم الغداة**

**ولست تملك من دليل للنجاة**

**سجن العذاب أحب لي**

**يا صاحبي من الحياة**[1]

ولم تزل روضة تستحضر القصص العربيّة "فالنَّصُ الشِّعريُّ وليدُ شطريه التَّاريخيِّ والدِّينيِّ ،ينطلِقُ منهُما ليعبِّر عنهُما معًا"[2].،فها هي توظّف دمشق في صورة خديجة رضي الله عنها ، حين طلب الرسول الكريم منها عند نزول الوحي أن تغطّيه من هول ما أصابه فتقول :

**دثريني يا دمشق**

**لست أدري اليوم ما بي**[3]

ويزخر شعر روضة الحاج بالمكان المقدّس ، الذي يضفي على شعرها نوع من القدسيّة والرّهبة الدّينية التي تحيلنا إلى هويتها وشخصيتها العربية الإسلامية، فهاهي تستدعي اسماعيل وهاجر وسعيهم بحثا عن الماء حيث الكعبة المشرّفة الآن كما كان قلبها يستمد سقياه من عشق الحبيب:

**قد كنت تأتي**

---

1- روضة الحاج، **للحلم جناح واحد** ، ص 41.
2- محمد الصّالح خرفي، **جماليّات المكان في الشّعر الجزائريّ المعاصر**، ص150.
3- روضة الحاج، **مدن المنافي** ، ص 22.

**حين أعدو (هاجرا)**

**والقلب كاسماعيل يستجدي السّقى**

**في ذلك القفر السّحيق**

**تعال وقتما تشاء**

**فإنّني كما الجراح باقية**

**أراقب الطّريق والوصيد هكذا**

**من الصّباح والمساء**[1]

أمّا الوصيد فهو ذاك المكان المقدّس المذكور في القرآن الكريم في سورة الكهف قال تعالى: ﴿**وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالوَصِيدِ لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا**﴾ **سورة الكهف الآية**

أمّا في قصيدتها من وفاء إدريس إلى مؤتمر القمّة العربيّة" فقد استدعى خطابها الشّعري ذكرى الأماكن المقدسة كالقدس الشريف المكنّى بمدينة السّلام، مدينة الجليل ،قبة المسجد الأقصى، مع الإشارة إلى أنّهم التّاريخ والدّين " "فالشَّاعرُ يتعاملُ مع موروثِه الحضاريِّ الدِّينيِّ والتَّاريخيِّ "فلم يكن غريبًا إذن أن يكون الموروث الدِّيني مصدرا أساسيا من المصادر الَّتي عكف عليها شُعراؤُنا المعاصرُون واستمدُوا منها شخصياتٍ وأماكنَ تراثيةٍ عبرَّوا من خلالها عن جوانبَ من تجارِبهم الخاصَّة"[2] فتقول في هذا المقطع:

**القدس أو مماتنا خيارنا**

**وقيل أن تحاوروا أقولها لكم...**

**ليغسل الجراح والدّموع والدّماء عن مدينة السّلام**

**أن تصمتوا لينطق الكلام**

**أن تبحثوا عن وجه أمي الرهين بالجليل...**

**أن تدفنوا أبي**

---

1- المصدر نفسه ، ص 29.

2- علي عشري زايد، **استدعاء الشَّخصيات التُّراثية في الشِّعر العربيِّ المعاصر**، دار الفكر العربي، القاهرة 1997، ص76.

## فصل ثان

**فلم يزل معلّقا بروحه العنيدة الطّواف**

**بقبة ومسجد هما الحياة والتّاريخ والمطاف**[1]

كما اعتذرت روضة الحاج لمحمد الدّرة في قصيدتها كيان وحجر إلى محمد الدّرة، عمّا أصابه باسم كلّ أمّ ثكلى مفجوعة على فلذة كبدها ،ومن شدّة الألم علت صرخة الشّاعرة من مرارة الحدث فنادت كلّ مكان مقدّس شهد بطولة صلاح الدّين ومجده وتصيح:

**يا حطّين يا يرموك يا قدس العروج**

**ويا صلاح الدّين قم**

**يا مسجدا أرسى قواعده عمر**

**عفوا محمد أعتذر**[2]

كما في موضع آخر تبكي صلاح الدّين في كلّ قائد عربيّ اليوم ذهب للتّفاوض لكنّه باع وطنه بفندق لم يقدم له خدمات جيّدة، فبيع الوطن في صالات الفنادق.وفي ذلك أيضا إشارة إلى حادثة الإسراء والمعراج.

وفي موضع آخر تستدعي روضة الحاج من ذاكرتها الدّينية قصّة الهجوم على الكعبة عام الفيل إذ قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيل (3) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِّيلٍ (4) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (5)** ﴾ **(سورة الفيل)**

**ولكنّهم يا محمد قد ضيّعوا كل شيء**

**سوى أنّ تلك الدماء**

**الّتي عطّرت ساحة المسجد العمريّ**

**ومقدسنا**

**أنبتت شجرا من نهار**

---

1- روضة الحاج، **للحلم جناح واحد** ، ص 6.
2- المصدر نفسه ، ص 25.

**تحطّ عليه الأبابيل ليلا**

**وترمي سجيلها يا محمد**

**كل الذين بأحقادهم يذبحون الديار**

**وتقسّم بالصّبر في دير ياسين**

**بالدّم في الحرم المقدسيّ**[1]

حيث أنّها تخبر محمد الدّرة أنه فقد و ضاع بسبب الهيمنة الغربيّة على الوضع الفلسطينيّ، لكن دمه الذي سال قد أنبت في أرض فلسطين الطّاهرة شجرا ،سيرسل رب العباد أبابيله كما في الماضي لترمي بحجارة من نار ردا لثأر المهضومين في كلّ الدّيار ،من ذبّحوا وقتّلوا وشرّدوا ،كما في مذبحة دير ياسين التّاريخية ، ومذبحة صبرا وشتيلا وطولكرم.

ومن التّاريخ أيضا تعود بنا الشاعرة مع الخنساء إلى حيث كانت القبائل العربيّة ذات سطوة وقوّة ، بيوت عز وشرف ، لتخبرهم أنّ ديارهم أضحت خاوية وبيعت، وأنّ بنو تميم اليوم سافروا ،باعوا قضيتهم وراحوا يجوبون المدن الغربية سواحا ، يحملون ذممهم في حقائبهم ولن يعودوا إلاّ في الشّتاء كناية عن الظّلام العربيّ، وبنو ذبيان أبرقوا بأن زعيمهم خسر المضارب في الرّهان إشارة إلى تاريخ العرب الّذي بيع في مزاد الخيانة والغدر، حتّى راهنوا على نسائهم وأخرجوهم من خدورهم.

**لكنّهم خنساء ما كانوا هنا**

**ذهبت قريش لمهرجان للغناء وبنو تميم سافروا**

**للسّين يصطافون هذا العام**

**لا يأتون إلا في الشتاء**

**ولعلهم قد أبرقوا**

**أعني بنو ذبيان**

**إنّ زعيمهم خسر المضارب في الرّهان**

---

1- روضة الحاج، **للحلم جناح واحد** ، ص 29.

**وإنهم سيراهنون على النّساء[1]**

أما قصّة مريم ،حين أخذت مكانا قصيّا لتلد فيه سيّدنا عيسى ،فقد أخذت منه روضة سبيلها حيث تأوي إليه قصيّا عن كلّ العالم حيث تخبؤ وجهها ،وتمتنع عن شعرها شوقا لحبيبها ،وألما على فقدانه وبعده عنها وهو يسكنها ويلقاها حيث تهرب منه إليه.

**يا منتهى شوقي**

**ويا كلّ الجراحات التي برئت**

**ويا كلّ التي تهب الألم**

**من أي أسباب السّماء هويت نحوي**

**مثلما النّحيم البعيد**

**فأنا انتذبت من المكان قصيّه**

**خبأت وجهي تحت وامتنعت عن القصيد[2]**

وتظلُّ روضة الحاج حزينة باكية على القدس، وعلى ثروات العرب الّتي تسرق وسارقها معروف ولم يعاقب لأنه الغرب الَّذي لا يعاقب ، فها هي تذكر لنا خلخال رمله حين ذكرت محراب الرّسول ، وذكرت اليمن حين ذكرت مملكة سبأ ومأرب حيث كانت الثّروات التي وضعتها بلقيس أمانة لدينا فهي تهيب بالمرأة العربيَّة التي تمثّل الأمَّة العربيَّة.

وفي ختام فصلنا هذا نجد أنَّ كلّ هته الأبعاد و الدّلالات التي زخر بها شعر روضة الحاج تجعل من قصائدها حديقة غنَّاء تعدّدت مشاربها وتنوّعت محطَّاتها ، فلا يكاد القارئ يخرج من حالة ليجد نفسه في أخرى بل ارتدنا معها تلك الأماكن بإحساسها، وعشنا تاريخها وافتخرنا بإسلامها و وتألمنا نفس ألمها على فلسطين و السُّودان وكلِّ بلدٍ عربيٍّ مهضوم الحقوق فكأنَّنا بها تتحدَّث عن كلِّ فردٍ منَّا.

---

1- المصدر السابق ، ص 38.
2- روضة الحاج، **عش للقصيد** ، ص 23.

كم تبيّن لنا من خلال هته الّتفصيلات عن المكان في شعرها أنّها تعيش خارج الّسودان فتشتاق لكلّ ركن فيه ولكلّ ما يذكّرها به وبكل بلد عربيّ ترى فيه بلدها وتأمل له حرية واتحّادًا .وهو ما جعل المكان يتنوّع عندها ويتخذ طابعا مميّزا عليه بصمتها العربيّة السّودانية .

كما لمسنا توحد صوت الشّاعرة مع صوت باقي الشّعراء المعاصرين في دعمهم للقدس باعتباره مكانا مقدّسا ومعلما تاريخيّا يرمز للقضية الفلسطينيّة ويعبّر عنها .

# خاتمـــــة

## خاتمة:

بعد أن أنهينا دراستنا لجمالية المكان في شعر روضة الحاج، توصّلنا إلى أنّ للشّعر السّوداني سطوته في عالم الشّعر العربّي ،بلغته الّراقية وجمال التّصوير الّذي مرده طبيعة هذا البلد المتعدّد الثّقافات واللّغات.

كما خلصنا إلى أنّ الشّاعرة قد وُفّقت إلى أبعد الحدود، في إيصال صوت المرأة العربيّة والإبداع النسويّ إلى العالم العربيّ، حيث برهنت أن المرأة العربيّة لم تعد حبيسة خدرها فلم تعد نظرة الآخر لها على أنّها فقط تمثّل الأمّ، البنت، الحبيبة، إنّما هي الآن الشّاعرة، الأديبة، السِّياسيّة المثّقفة حاملة الهمّ الوطنيّ القوميّ العربيّ.

-نجحت روضة الحاج في اختيار الأمكنة، وتصويرها بحلّة جميلة بثت فيها من روحها ومشاعرها، واستلهمت فيها من ذاكرتها الدّينيّة والتّاريخية مكّنت القارئ ومن بينهم نحن في هذه الدّراسة من التّعايش مع حالتها الشّعورية اتجاه الغربة والمنفى والوطن الأم، سودانها والوطن العربيّ ككلّ.

-كما خلصنا إلى أنّ قوة المكان من قوة المعنى وقوة الرّسالة التي تحملها روضة الحاج في شعرها، فالتزامها بالقضيّة الفلسطينيّة وبالهمّ العربيّ ، وبهمّ السّودان المتألم بشدة الآن ، أعطى للمكان جمالا بانصهارها فيه و أنسنتها له.

-لاحظنا هيمنة المكان المفتوح على شعر روضة الحاج مقارنة بالمغلق ، وذلك مردّه النّفس الطّامحة المتمرّدة والقلم الصّارخ للشّاعرة والأمل المستمر في حريّة مطلقة للفكر العربيّ ، وحرية حقيقية للأمّة العربية من هيمنة الفكر الغربيّ والسّيطرة الفكريّة والسّياسية وحتّى العسكريّة، مما استدعى استحضارها للطّبيعة وعناصرها، في تعبير منها عن رغبتها في فجرٍ جديدٍ يبزغ على وطننا العربيّ عامّة والقدس والسّودان خاصّة. أمّا المكان المغلق فقد جاء عرضًا في دواوينها متى اقتضى الحال ذلك إمذا انكسارا أو حزنا أو رثاء لحال الأمّة وحالها الأنثوي عشقا وإثباتا للذّات.

-للثقافة العربيّة والإسلاميّة وللخلفية الصّوفيّة بالسّودان، أثرها البالغ في صقل موهبة الشّاعرة وفي تمكينها من أدوات تطويع المكان وإحالته في نسقية رائعة مبهرة ، تمنح المكان ألقا فنيا شعريّا ، سبح بالقارئ في روحانية عالية.

-حمّلت روضة الحاج المكان هموم الأمّة فلبس ثوب السّياسة ورفع شعار التّاريخ والدّين والثّقافة ولم يعد ذلك الطذلل الهندسيّ الذي يبكي من خلاله الشّاعر غياب الأحباب بل رمز حياة في جماد.

-بساطة التعّابير الّتي تناولت بها الشّاعرة المكان، وعدم جنوحها للغرابة والغموض الّذي يبعد المعنى عن المتلقي ،جعلها تخترق القلوب مقارنة بشعراء جيلها ، حتى غدا شعرها يُعرف عند القراءة وإن غاب توقيعها عليه.

-قلّة الدرّاسات النّقدية التحليلية لدواوين الشّاعرة، وبالأخصّ التّي تدرس المكان في قصائدها كان بالنّسبة لنا سلاحا ذو حدّين ،حيث سمح لنا باختبار ملكة التحّليل لدينا ، في محاولة منّا للتّمييز بين الوطن الجريح الغارق في مناف حقيقيّة وروحيّة ، والحبيب الغائب في مدن المنافي إثر الانقسام والشّقاقات والخضوع والهوان العربيّ ، وبالمقابل أتعبنا كثيرا لعدم وجود دراسات مماثلة تنير لنا طريق البحث.

-كلّ هذه النّتائج الّتي خلصنا إليها في بحثنا هذا ، نأمل أن تكون منطلقا لدراسات لاحقة ، تجعل الطّلبة والدّارسين خاصّة ، يتناولون بالدّراسة دواوين الشّاعرة روضة الحاج بصفة خاصّة ودواوين لشعراء سودانيين بصفة عامّة ،كما نفتح المجال للتعّرف على المكان من جوانب أخرى كالصّورة الفنية أو الرّمزية وما شابه ذلك.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد جانبنا الصّواب في عملنا هذا فإن وفقنا فمن الله وإن أخطأنا فمنّا والحمد لله رب العالمين.

**ملخص الدّراسة:**

تناولنا في هذه الدّراسة جمالية المكان في دواوين الشّاعرة روضة الحاج ،وقامت خطّة البّحث على مدخلٍ وفصلين تطرّقنا في المدخل ؛ إلى مفاهيم عامّة حول جمالية المكان وأنماطه ،وفي الفصل الأوّل الّذي كان نظريًا فقد تطرّقنا إلى توظيف المكان في الشّعر العربيّ والغربيّ، والأبعاد والدلالات الّتي يحيل إليها هذا المكان ،مع ذكر لنماذج لشعراء عرب معاصرين ، أمّا الفصل الثّاني ،فكان تطبيقيّا درسنا فيه تجلّي المكان بأنواعه في دواوين الشّاعرة روضة الحاج، وأبرز الدلالات والأبعاد الّتي قدّمت لنا رسالة الشّاعرة الأدبية والفكريّة والإنسانيّة.

الكلمات المفتاحية : الجمالية. المكان. جمالية المكان.

Study summary :

In this study , we dealt with the aesthetic of place in the collections of the poetess Rawda al-Hajj. The research plan was based on an entry and two chapters. In the enterance, we dealt with general concepts about the aesthetic and patterns of the place. The first chapter, which was theoretical, we addressed the use of the place in Arabic and Western poetry and the dimensions and connotations that are deduced from this place, with reference to examples of contemporary Arab poets. The second chapter was an application in which we studied the various places in the collections of the poetess Rawda al-Hajj and the most prominent connotations and dimensions that gave us the poetess literary, intellectual and humanistic message.

Keywords : Aesthetic. The place . The aesthetic of the place.

# المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

### المصادر:

روضة الحاج، **ديوان عش للقصيد**، ط6، 2011، دار تفاصيل الكلم للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

روضة الحاج، **ديوان في الساحل يعترف القلب**، ط3، 2011، دار تفاصيل الكلم للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

روضة الحاج ، **ديوان للحلم جناح واحد** ،ط 1 ،2007 ، دار تفاصيل الكلم للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

روضة الحاج، **ديوان مدن المنافي**، ط2 ، 2007، دار تفاصيل الكلم للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية.

### المراجع:

**الكتب العربية** :

ابراهيم أحمد ملحم، **شعرية المكان قراءة في شعر مانع سعيد العتيبة**، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011.

إحسان عباس، **اتجاهات الشعر العربي المعاصر**، ط2، 1992، دار الشرق، عمان، الأردن.

أسماء شاهين، **جماليات المكان في روايات ابراهيم جبرا**، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2001.

إمانويل كانت، **نقد وقوة الحكم، دراسات في علم الجمال**، دار النهضة العربية – بيروت ، ط1، 1985.

باديس فوغالي، **الزمان والمكان في الشعر الجاهلي**، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الاردن، ط1، 2008.

بداوي عبد الرحمان، **مدخل جديد الى الفلسفة**، وكالة المطبوعات، الكويت.

بشير خلف، **الجمال فينا ومن حولنا**، دار الريحانة للكتب، القبة – الجزائر، 2007..

جاسم علي متعب، منى شفيق، **فعالية المكان في الصورة الشعرية – سيفيات المتنبي نموذجا**، مجلد 01، العدد 40، العراق، 2009.

حسن بحراوي، بنية **الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)**، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1990.

رضوان محمد، **ملكة الحجم دراسة في الشعر العربي المعاصر**، الحكاية أنموذجا، 2001، دار المنشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

زايد محمد ارحيمة الخوالدة، **صورة المكان في شعر عز الدين مناصرة**، دار الراية لنشر والتوزيع، ط1، عمان – الأردن، 2012.

سعيد بن كراد، **السرد تجربة المعنى**، ط 4، 8،199 ص 169..

سيزا قاسم، **بناء الرواية، دراسة مقارنة في (ثلاثية) نجيب محفوظ**، مكتبة الاسرة، القاهرة، مصر، 1978.

عبيدات زهير حسن سليمان، **صورة المدينة في الشّعر العربيّ الحديث**، دار الكندي، الأردن.

عدنان رشيد، **دراسات في علم الجمال**، دار النهضة العربية، بيروت.

عزّ الدّين ميهوبي، **ديوان في البدء**، كان أوراس، دار الشهاب للطّباعة والنّشر، ط1، الجزائر، 1985.

علي عبد المعطي محمد، **مقدمات في الفلسفة**، دار النهضة العربية، بيروت.

علي عشري زايد، **استدعاء الشَّخصيات التُّراثية في الشِّعر العربيِّ المعاصر**، دار الفكر العربي، القاهرة 1997.

العيدي حسن مجيد، **نظرية المكان في فلسفة ابن سينا.**

غالب هلسة، **المكان في الرواية العربية**، دار ابن هاني، دمشق، ط1، 1983.

غالب هلسة، **دراسات نقدية**، ط1، دار الكنوز الأدبية، بيروت– لبنان

محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله (الإمام القرطبي)، **الجامع لأحكام القرآن**، مؤسسة الرسالة 2006 جزء 10.

محمود درويش، **الأعمال الأولى**، رياض الريس للكتب والنّشر، بيروت، ط1، حزيران يونيو 2005..

محمود درويش، **الأعمال الكاملة**، إعداد علي مولا، منتدى مكتبة الإسكندرية، مصر.

محمود درويش، **ديوان أوراق الزيتون**، 1964، مكتبة الكتب والموسوعات.

مرعي السّاهر، **مفدي زكريا إلياذةُ الجزائرِ**، دار المختار للطّباعة والتّوزيع، الجزائر.

مفدي زكريا، **اللّهب المقدّس**، الجزائر، ط1، 1989.

مفدي زكريا، **اللّهب المقدس**، ش،و،ن،ت، الجزائر، ط1، سنة 1983.

نزار قباني، **الأعمال السّياسية الكاملة**، ج3، ط3، منشورات نزار قباني، لبنان، بيروت، 1983.

نزار قباني، **الأعمال السّياسية الكاملة**، ج6، ط2، بيروت، لبنان، منشورات نزار قباني.

نزار قباني، **الأعمال الشّعرية الكاملة**، منشورات نزار قباني 2002.

نزار قباني، **الأعمال الشّعرية الكاملة**، منشورات نزار قباني، ج6، سنة 1999.

نزار قباني، **الأعمال الشّعرية الكاملة**، منشورات نزار قباني، طبعة، بيروت.

هادي نهر، **من جماليات القرآن**، عالم الكتب الحديث، ط1، 2018.

**الكتب العربية المترجمة :**

بوري لوتمان، **مشكلة المكان الفني** ،ترجمة سيزا قاسم عيون المقالات، الدّار البيضاء، المغرب، ط2 ,1988

جاستون باشلار، **جماليات المكان**، ترجمة غالب هلسة، ط5، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت

**المذكّرات والرّسائل الجامعية:**

جمال مجناح، **دلالات المكان في الشّعر الفلسطينيّ المعاصر بعد 1970**، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة ،الجزائر، 2007-2008.

طيب حمايد شعرية، **المكان في الشّعر المعاصر قراءة في شعر محمود درويش وسميح القاسم**، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربيّ السّنة الجامعيّة 2017-2018.

طيب حمايد، **شعرية المكان في الشّعر العربيّ المعاصر قراءة في شعر محمود درويش وسميح القاسم**، رسالة لنيل شهادة الدّكتوراه في الأدب العربيّ، نظام ل.م.د، السّنة الجامعيّة 2017-2018.

عجوج فاطمة الزهراء، **المكان ودلالته في الرواية المغاربية المعاصرة**، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة جيلالي ليابس .

محمد الصالح خرفي، **جماليات المكان في الشعر الجزائري المعاصر**، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتورا العلوم، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري قسنطينة 2006/2005.

محمد موسى البلولة الزّين، **الاغتراب والحبّ في الشّعر المهجريّ**، رسالة دكتوراه، جامعة الخرطوم، 2010.

**المجلاّت:**

إبراهيم خليل، **بنية النص الروائي**، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2010.

بسام علي وبشير، **جماليات المكان في رواية باب السّاحة لسحر خليفة**، مجلة الأقصى، غزة، المجلد 15، العدد2.

جواد هيئة، صورة **المكان ودلالاته في رواية واسيني الأعرج**، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012 – 2013.

حجاب عبد اللطيف ، **جماليات المكان القومي ودلالته في شعر مفدي زكري** ، مجلة اللغة العربية ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 2021 ، ص20..

حميد الحمداني، **بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي**، الناشر المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1991.

عبد الحق منصور بوناب، **دلالات الطريق في شعر السائحي**، العدد 11 جوان 2016، مجلة آفاق علمية، المركز الجامعي تمنراست، الجزائر.

عبد الله أبو هيف، **جماليات المكان في النقد الأدبي المعاصر**، مجلة تشرين للدراسات و البحوث العلمية، سلسلة الأدب و العلوم الإنسانية، المجلد 32، العدد 01، 2005.

عبد المالك مرتاض، **تحليل الخطاب السردي – معالجة تفكيكية سينمائية مركبة لرواية زقاق المدق**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص245.

غيداء شلاش، أحمد سعدون، **المكان و المصطلحات المتقاربة – دراسة مفهوماتية**، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، ط11، العدد 2، بغداد.

لؤي شهاب محمود، **مفهوم الأرض في التُّراث الفلسطينيّ المعاصر الشّعر نموذجا**، مجلة الأستاذ، جامعة بغداد العدد1، ج01، 2014.

منتهى طه الحراحشة، **أنماط المكان في الرواية، سيدات الحواس الخمس لجلال برجس**، قسم اللغة العربية وآداب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، م81، العدد 2، يناير 2021م.

مهدي عبيدي، **جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار، الدفل ، المرفأ البعيد)**، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011.

نجود هاشم الربيعي، **دلالة المكان في الشعر العربي الحديث مجلة عود النّد**، العدد الفصلي 6، 2017.

**الحوارات واللّقاءات :**

روضة الحاج، **برودكاست شاعر**، قناة البوادي الكويتية، لقاء تلفزيوني، ماي 2023..

**المعاجم والقواميس:**

ابراهيم مصطفي، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، جزء 01 .

ابن اسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحيح تاج اللغة العربية والصحاح العربية**، .....).

ابن فارس أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، **معجم مقياس اللغة**، بيروت، 1420ه، جزء 01.

الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمان ، **معجم العين**، المحقق مهدي المخزومي ،الدّكتور ابراهيم السماني ، دار مكتبة الهلال ، ج 5 ،

عمر بن أحمد الزمخشري، **أساس البلاغة**، دار الكتب العلمية، ط1، جزء 01، بيروت، لبنان، 1998.

علي أبو الفضل جمال الدّين ابن منظور الأنصاري، **لسان العرب**، دار الصادر – بيروت، 2012.

محمد بن مكرم بن جمال الدين محمد بن يعقوب( الفيروزابادي )، **القاموس المحيط**، ط6، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

# ملاحق

## تعريف الشّاعرة روضة الحاج :

**1-تاريخ ميلاد روضة الحاج :**

جاء ميلادها في عام 1969 اسمها بالكامل هو " روضة الحاج محمد عثمان " تحمل الجنسية السّودانية وبرعت في عالم الشّعر والكتابة والتّحرير وأيضا عملت لفترة مذيعة ، أما عن مسقط رأسها فلقد ولدت في مدينة كسلا وهي مدينة تقع في الجزء الشّرقي من السّودان ، تنتمي روضة إلى عائلة بسيطة فوالدها من شندي أمّا والدتها فمن كردفان.

**2-تعليم روضة الحاج :**

تخرّجت من جامعة النّيلين بعد أنهت دراستها بقسم اللّغة العربيّة وآدابها ، ثمّ أتمت دراستها العليا بجامعة أم درمان الإسلامية ، في عام 2012 حصلت روضة الحاج على أشهر لقب ميزها عن بقيّة الشّعراء وهو لقب شاعر سوق عكاظ.

**3-روضة الحاج والإذاعة السّودانية :**

تعمل روضة الحاج الآن في الإذاعة السّودانية حيث أنّها تتولىّ تقديم برنامج سفراء المعاني وهو عبارة عن برنامج حوارٍ فكريٍّ ثقافيٍّ يستهدف مجموعة من رموز الفكر و الشّعر و الثّقافة من السّودانيين و العرب.

كما تقلّدت منصب وزيرة للثّقافة بالسّودان لمدّة عشرة أيام فقط سنة 2021 وكانت عضو بالبرلمان السّوداني

**4-دواوين شعر روضة الحاج :**

روضة من الأشخاص الّذين وهبهم الله سبحانه وتعالى قدرة على التّأليف والشّعر وكتابة الدّواوين وهي لها أسلوبها الخاصّ في الكتابة والتّأليف فأشعارها بسيطة تحمل جمال معانٍ يسهل فهمها أمّا عن أهم دواوينها الشّعرية فلقد قامت بتقديم خمسة دواوين وهم " عشّ القصيد ، في السّاحل يعترف القلب ، للحلم جناح واحد ، مدن المنافي ، ديوان ضوء لأقبية السّؤال" ، أمّا عن تلك الأعمال الشّعرية الّتي ينتظرها القرّاء منها الآن " مبني على الكسر ، أغنيات الفتى البنفسجي .

**5-أهمّ قصائده :**

قدّمت أيضا عددا من القصائد كانت بعنوان " في موسم المدّ جزر جديد ، مدن المنافي ، أواه.. يا كسلا ، وقال نسوة ، اعتراف ، بلاغ امرأة عربيّة ، نشاز في همس السّحر ، هل كان حباً يا ترى ؟ ، وشم على ساعد الغياب ، المنسيّ ! ، ونثرته ملح العتاب ! ، عش للقصيد ، في السّاحل يعترف القلب ، مالي ادّعيتك لي ، وتحترق الشّموع.

**6-أهم مؤلفاتها من الكتب:**

قدّمت كتابين فقط كانا بعنوان " كتاب شاعرات من السّودان ، كتاب كاتبات من السّودان."

**7-تكريمات وجوائز روضة الحاج :**

حصلت على الكثير من الجوائز والتّكريمات تكليلا لمجهوداتها الّتي قدّمتها في مجال الشّعر وتنوّعت هذه الجوائز بين الأوسمة و شهادات التّقدير و الالقاب ومن أهمّها ما يلي :

**أ - ألقابها وجوائزها وشهادات التّقدير:**

في عام 2012 حصلت روضة على لقب شاعر سوق عكاظ ، وحصلت أيضا على جائزة أفضل محاور من مهرجان القاهرة للإذاعة، أمّا عن شهادات التّقدير الّتي حصلت عليها فلقد حصلت على أكثر من شهادة تقدير من أكثر من جهة مختلفة مثل اتّحاد المرأة الّسودانية ،ورابطة المرأة العاملة ،واتّحاد كتاب وأدباء الإمارات ،والاتّحاد الوطنيّ للشّباب السّوداني ،واتّحاد الطّلاب السّودانيين وغيرها.

**ب -الأوسمة :**

حصلت أيضا على أكثر من وسام من أهمّهم " وسام المعلم السّوداني – اتّحاد المعلمين الّسودانيين و درع مهرجان الدّوحة الثقافي ، ودرع الأوديسية – لبنان ، ودرع صنعاء عاصمة للثّقافة العربيّة ،و درع أندية الفتيات بالشّارقة"

## فهرس الموضوعات

**شكر وعرفان**

**إهداء**

مقدمة.....أ-د

**مدخل**

1- مفهوم الجمال لغة .....5

2- الجمال اصطلاحا .....6

3- مفهوم الجماليَّة.....7

4- مفهوم المكان لغة واصطلاحا.....9

4-1 - المكان لغة.....9

4-2- المكان اصطلاحا ..... 11

أ- مفهوم المكان في الفلسفة.....10

جـ- المكان في الأدب .....12

د- المكان في النّقد الغربيّ والعربيّ .....15

د-1- المكان في النقد الغربيّ .....15

د-2- المكان في النّقد العربيّ .....17

5- أنواع المكان .....19

فصل أوّل.....أ

تجلّيات المكان وأبعاده في الشّعر العربيّ المعاصر .....أ

1 - تجلّي المكان في الشّعر العربيّ المعاصر .....27

1- المكان والأبعاد النّفسيّة والاجتماعيّة.....**Error! Bookmark not defined.**

2- البعدُ الوطنيُّ والسّياسيّ .....**Error! Bookmark not defined.**

3- المكان وأبعاده التّاريخيّة والدّينية.....**Error! Bookmark not defined.**

فصل ثان.....1
أنواع المكان في شعر روضة الحاج.....64
1- المكان المفتوح.....64
المدينة .....76
- السّودان .....80
- الخرطوم.....81
- القدس.....86
- الأرض.....87
- الصّحراء: (الواحة، النخيل، الفلاة):.....88
البحر: .....90
- النّهر:.....93
2- المكان المغلق.....98
- البيت .....99
- القبر: .....100
- السّجن:.....101
أبعاد ودلالات المكان في شعر روضة الحاج: .....107
البعد والدّلالة النفسيّة:.....107
البعد الاجتماعيّ والثّقافي.....110
البعد السّياسيّ الثّوريّ.....113
خاتمة: .....135
قائمة المصادر والمراجع.....139
ملاحق..... .....143